www.quranonlinelibrary.com

شَرْحٌ ذُو أَهَمِّيـــَّة

لِمَقَاصِـدِ الْقُــرْآنِ الكُلِّــيِّة

تأليف

الدكتور : أحمد خضر حسنين الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

استهلال

قال تعالى :

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ

سورة ص (29)

وقال تعالى :

هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ

سورة إبراهيم (52)

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) روى البخاري .**

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله : **(إنما يكون التدبر لمن نظر في المقاصد) .**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إهداء

إلى الإمام الغزالي ويكفيه أنه استحق أن يُلقَّب بحجة الإسلام .

ثم إلى حملة القرآن الكريم المتطلعين للاهتداء بهديه القويم .

وإلى كل داعية إلى الله تعالى جعل مرجعه الأول القرآن الكريم .

وإلى كل مثقف حُبِّب إليه الاطلاع على علوم الإسلام .

وإلى كل قارئ للقرآن حببت إليه التلاوة على مدى الأيام .

إلى هؤلاء وغيرهم :

أهدي هذا الكتاب الذي أرى أنه خير معين على الإلمام بمقاصد القرآن العظيم ، وفهم سوره وآياته ، والاستمتاع بالتأمل في وكلماته .

وكل من المُهدِي والمُهدَى إليه مفتقر إلى الله تعالى في جميع أوقاته ، متطلع إلى مغفرته ونزول رحماته وبلوغ مرضاته .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المقدمة

الحمد لله، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، والشكر له، كما يجب لجزيل نعمائه، وكثير ألطافه، والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد : مما هو معلوم لديك أيها القارئ الكريم أن العلم بتفسير القرآن هو العلم بمعاني الآيات وفهم المراد منها مهم ومطلوب من كل مسلم، لقوله تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة ص(29)

قال أهل التفسير : هذا كتاب **أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ** بقدرتنا ورحمتنا- أيها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ومن صفاته أنه **مُبارَكٌ** أى: كثير الخيرات والبركات. وجعلناه كذلك **لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ** أى ليتفكروا فيما اشتملت عليه آياته من أحكام حكيمة، وآداب قويمة، وتوجيهات جامعة لما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم..

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ أى: وليتعظ أصحاب العقول السليمة بما جاء فيه من قصص وعبر عن السابقين، كما قال سبحانه : (**لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى، وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) سورة يوسف (111).

فحض الله تعالى في هذه الآية على تدبر القرآن . فينتفع المتدبر لكتاب الله تعالى ببركاته ويتيسر له العمل به وقبل ذلك ينال قدراً كبيراً من محبة القرآن والشغف به والسعي في تفهيمه للآخرين .

وقد سئل أحد سادات التابعين في الكوفة وهو إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى فقيل له : من أعقل الناس ؟ فقال : أعقل الناس فلان الزاهد . فذهبوا لينظروا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

من عقله ولينظروا من أمره ، فما وجدوه إلا مقبلًا على القرآن ، وعلى أمر آخرته . فعلموا أن قصد إبراهيم أن أعقل الناس هو من أقبل على أشرف الكلام ، وأقبل على أشرف مقصود ، وهو الدار الآخرة ، **(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)** سورة القصص : الآية 83

ومما هو معلوم أيضاً أن المسلم المحب لكتاب الله تعالى إنما يلجأ إلى أهل الذكر يسألهم عما أشكل عليه من فهم لبعض الآيات ، وذلك لقوله تعالى **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** سورة الأنبياء (7)

قال السعدي : " وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه " اهـ .

فإذا كان الأمر كذلك فإن العلم بمرامي القرآن وأهدافه وغاياته لا يقل أهمية عن تدبره وتفسيره بل هو يعتبر أكبر معين للفهم ، لأن مقاصد القرآن هي عبارة عن الغايات التي نزل القرآن لأجل تحقيقها.

ويبين ابن عاشور ذلك فيقول :(غرض المفسر بيان ما يصل إليه ، أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن ، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم ، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً .. مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء ، أو لتوقع مكابرة من معاند أو جاهل ، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله ، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ ، وللتنزيل اصطلاح وعادات).

ولذا شغلني البحث في العلم بمقاصد القرآن مدة من الزمن ، ولم يشف غليلي بالإشارة إلى جوامعه إلا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه جواهر القرآن ودرره – وسيأتي بيان السبب في اختياري له إن شاء الله تعالى .

وقد يقول قائل العلم بمقاصد القرآن ليس من العلوم المشهورة ولم نر شيئا من المؤلفات التي تتكلم فيه ؟

الجواب : أن يقال نعم، العلم بمقاصد القرآن لم ينص عليه الأوائل ، وإنما اعتبره الصحابة والتابعون بالاستقراء، ولم يُنص على هذا العلم بهذا الاسم إلا عند المتأخرين ،وذلك شأن جميع العلوم ؛ فإن العلوم كانت ممارَسة عند السلف ، لكن لم تكن التسمية موجودة ، فعلم النحو كان ممارسًا ولم يكن موجودًا ، والبلاغة كانت ممارسة ولم تكن موجودة ، وعلم أصول الفقه كان ممارسًا ،وهكذا يقال في استنباط الأحكام من القواعد الأصولية ، ولم يكن موجودًا بهذا الاسم ، وهكذا الشأن في علوم القرآن في أنحاء شتى ، ومصطلح الحديث وعلوم أخرى . ويندرج علم مقاصد القرآن ضمن العلوم التي كانت ممارسة ولم تكن موجودة .

وأما السبب في اختياري لما كتبه الغزالي فلأن " معظم الباحثين في "مقاصد القرآن" استنسخ ما كُتب في "مقاصد الشريعة"، واستصحبوا ما آلت إليه مباحثها من سرد نظري " [1]. مدخلين ذلك في مقاصد القرآن .

1/ مقاربات مقاصد القرآن الكريم: دراسة تاريخية - عبد الرحمن حللي - موقع الملتقى الفكري للإبداع .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ومع طول بحثي وجدت في علم مقاصد القرآن - حسب بحثي الضعيف وعلمي القاصر – أن ما كتبه العلماء في مقاصد الشريعة هو ربع مقاصد القرآن التي شرحها الغزالي في (جواهر القرآن ودرره) أو أشار إليها في كتبه الأخرى ، ودليلي على ذلك أنك لن تجد في كتب مقاصد الشريعة فصولاً عن قضايا الإيمان بالله واليوم الآخر كما لن تجد فيها حديثا عن الصراط المستقيم أو فصولاً في قصص القرآن الكريم أو فصولاً في الرد على شبهات الكفرة بشتى مللهم ، وقد تناول الغزالي كل ذلك في (جواهر القرآن) ثم أشار إلى مقاصد الأحكام ، وتزكية النفس ، وعمارة الأرض ، وهذه الأخيرة هي التي تناولها العلماء فيما بعد وسموها بمقاصد الشريعة ، أو مقاصد القرآن أو نحو ذلك من التسميات،كما سيأتي بيانه عند الحديث عن تواليفهم في المحور الثالث من التمهيد، إن شاء الله تعالى.

وإنما سميت هذا الكتاب : (شَرْحٌ ذُو أَهَمِّيـــَّة لِمَقَاصِـدِ الْقُـرْآنِ الكُلِّـيّة) لأنه عبارة عن شرح لما أورده حجة الإسلام الغزالي [2] رحمه الله تعالى في كتابه المشار إليه

2/ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى، أحد أعظم أعلام الفكر الإسلامى فى علوم الدنيا والدين، ولد بخرسان 405 هـ ومات بها 505 هـ، وتتلمذ على إمام الحرمين الجوينى، ثم خرج إلى مكة وتنقل منها إلى الشام ومصر، ولزم الخلوة وتهذيب النفس وذكر الله حتى وصل إلى اليقين، وهذه هى الفترة التى فتح الله عليه فيها فصنف فيها معظم كتبه، وهو يصفها فى كتابه المنقذ من الضلال، وعدوا منها 228 كتابا غير المشكوك فى نسبها إليه، والمطبوع منها 60 كتابا فى مجالات كثيرة: التصوف والعقيدة والفقه والأصول والمنطق والفلسفة، وأهم كتبه (المنقذ من الضلال) وفيه يصرح أن الحقيقة إلى جانب المتصوفة وتهافت الفلاسفة وإحياء علوم الدين ومعارج القدس -(منقول من مقدمة منهاج العابدين - للدكتور محمود مصطفي) قلت : وقد ألَّف في التعريف بالغزالي ومناقبه عدد ليس بالقليل من العلماء قديما وحديثا ، ولهذا لم أشأ أن أكتب له ترجمة في هذا الكتاب.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

من مقاصد القرآن وربما لا يتجاوز كلامه العشر صفحات ولكنه كلام غاية في الأهمية في فتح الباب أمام الطالب لهذا العلم .

وإني بعون الله تعالى شرحت هذه المقاصد شرحا مختصرا وذلك بحسب ما يسره الله من جمع لكلام العلماء وتنسيقه وضم النظير إلى نظيره مع محاولة إيضاح وجه كون ذلك من مقاصد القرآن ، على قدر جهدي .

أما منهجي في بيان تلك المقاصد فهو كالآتي :

1/ لم ألتزم بشرح عباراته بألفاظها بل بموضوعاتها في كثير من الأحيان ، وذلك لجعلي كلامه رحمه الله بمثابة الإشارات إلى فصول هامة في **مقاصد القرآن الكلية** .

2/ رجعت إلى كلام الغزالي في شرح موضوعات المقاصد من كتبه الأخرى كالإحياء وغيره وإن لم يكن له كلام نقلت عن غيره من العلماء .

3/ حاولت أن أسهل المقاصد على قدر الاستطاعة حتى يتفيد منها طالبالعلم والمثقف وغيرهم من محبي الاطلاع ومدارسة العلوم الإسلامية .

4/ وثقت النقولات في الغالب الأعم إلا ما سهوت عنه ، لأن بركة العلم في عزوه إلى قائله -كما بينه العلماء – ومن ناحية أخرى لكي يتمكن مَن أراد المزيد أن يرجع إلى تلك المراجع .

5/ أضفت شيئين إلى ما ذكره الغزالي في موضوع المقاصد رأيت من المهم جداً أن يطلع عليهما القارئ الكريم ، وهما :

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الأول : تمهيد يتعلق بيان مفهوم مقاصد القرآن وأهمية معرفته لمفسري القرآن الكريم وغيرهم .

الثاني : يتعلق بمقاصد سور القرآن حيث جعلت الفصل السابع والأخير في بيان أهمية معرفة مقاصد سور القرآن كاملة ، بعد ان مهدت لذلك بما يناسب المقام .

والآن أنقل إليك نص كلام الغزالي في إجماله لمقاصد القرآن في ستة أشياء وبها أختم هذه المقدمة .

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى :

سِرُّ القرآن، ولُبَابُه الأصفى، ومقصدُهُ الأقصى، دعوَةُ العباد إلى الجَبَّار الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العُلَى، والأرَضين السُلفى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى، فلذلك انحصرت سُوَرُ القرآن وآياتُه في ستة أنواع:

- ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المُهِمّة.

- وثلاثة: هي الرَّوادف والتوابع المُغنِيَة المُتِمَّة.

أما الثلاثة المُهِمَّة فهي:

(1) تعريف المدعو إليه.

(2) وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

(3) وتعريف الحال عند الوصول إليه.

وأما الثلاثة المُغْنِيَة المُتِمَّة :

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

- فأحدها: تعريف أحوال المُجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويقُ والترغيبُ، وتعريفُ أحوال النَّاكبين والنَّاكلين عن الإجابة وكيفيةُ قمعِ الله لهم وتنكيلِهِ لهم؛ وسِرُّهُ ومقصوده الاعتبار والترهيب.

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكَشْفُ فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمُحاجَّة على الحق، وسِرُّه ومقصوده في جنب الباطل الإِفضاحُ والتَّنْفير، وفي جَنب الحق الإيضاحُ والتَّثْبيتُ والتَّقهير.

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد. فهذه ستة أقسام.ثم قال بعد شرحها شرحا موجزاً : وإن جمعتَ الأقسامَ [السِتَّة المذكورة] مع شُعَبِها المقصودة في سلك واحد أَلْفَيْتَها عشرةَ أنواع: ذِكرُ الذات، وذِكرُ الصفات؛ وذكر الأفعال؛ وذِكرُ المَعاد؛ وذِكرُ الصِّراط المستقيم، أعني جانِبيَ التَّزكيَة والتَّحليَة؛ وذِكرُ أحوال الأَوْلياء؛ وذِكرُ أحوال الأعداء، وذِكرُ مُحاجَّةِ الكفار؛ وذِكرُ حدود الأحكام.

وأسأل الله تعالى أن ينفعني بهذا الكتاب في الدنيا والآخرة وأن ينفع به كل من يطلع عليه من أهل الإسلام ، وأتمنى على الله أن يكون هذا الكتاب محل عناية العلماء ليوسعوا علم مقاصد القرآن وينشروه بين الناس ، إنه جواد كريم وفتاح عليم .

والحمد لله رب العالمين وصلى على الله تعالى على النبي الأمي وآله وصحبه أجمعين.

أخوكم : أحمد خضر حسنين الحسن

الدوحة – رمضان 1439 – الموافق مايو 2018

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التمهيد

بيان مفهوم مقاصد القرآن وأهمية معرفته لمفسري القرآن الكريم وغيرهم

المحور الأول : مفهوم مقاصد القرآن لغة واصطلاحاً .

المحور الثاني : أهمية معرفة مقاصد القرآن الكريم للمفسرين وغيرهم .

المحور الثالث : لمحة عن كتابات العلماء في علم مقاصد القرآن الكريم .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المحور الأول

مفهوم مقاصد القرآن لغة واصطلاحاً

1/ **معنى المقاصد لغةً** : جَمع مقصد ، وهو في اللغة مصدر كالقصد ومعناه الطلب، جاء في لسان العرب لابن منظور : (أصل" ق - ص - د " ومواقعها في كلام العرب : الاعتزام والتوجه ، والنهود والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان أو جور ، هذا أصله في الحقيقة وإن كان يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل)

هذا أصله في الحقيقة كما قال ابن جني . وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل . أَلاَ تَرَى أَنَّكَ تَقْصِدُ الجَوْرَ تارَةً كما تَقْصِد العَدْلَ أُخْرَى ؟ فالاعتزامُ والتَّوَجُّه شامِلٌ لهما جَميعاً .

ملخص كلام اللغويين أن مادة (قصد) في الاستعمال العربي تدل على معان مشتركة ومتعددة ، إلا أن الغالب عند إطلاقها انصرافها إلى العزم على الشيء والتوجه نحوه .

2/ **المقاصد اصطلاحاً** [3]: لم تهتم كتب التراث بتعريف المقاصد، ولهذا لا نجد فيها أثرا لتعريف المقاصد سوى ما يرد ضمنا في تعريف المصلحة كقول الغزلي" المصلحة المحافظة على مقصود الشارع، ومقصود الشارع من الخلق خمسة أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم"

3/ مقال بعنوان (جدلية العلاقة بين مقاصد القرآن وتفسيره) مشاركة للشيخ د/ عبد الرحمن معاضة الشهري - موقع أهل التفسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ويرى بعض الباحثين أن سبب عدم تعريف المتقدمين للمقاصد عائد إلى وضوح معناها في أذهانهم .

ولم أجد للمتقدمين تفصيلاً لمقاصد القرآن الكبرى ، وإنما يظهر بعض هذه المقاصد في أثناء تفسيرهم للآيات ، أو حديثهم عن مقاصد الشريعة على وجه الإجمال .

وأما مقاصد القرآن وتفصيلها فأكثر من عني به العلماء المتأخرون . ومنهم ابن عاشور وغيره من المعاصرين .

لكن يمكننا القول أن مقاصد القرآن هي :(**الغايات التي نزل القرآن لأجل تحقيقها**).

ويتبين هذا من كلام ابن عاشور :(**والقرآن هو الجامع لمصالح الدنيا والدين الحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها الآخذ قوس البلاغة من محل نياطها**).

وقد بين ابن عاشور أمرين حول موضوع مقاصد القرآن :

الأول : المقصد الأعلى من القرآن الكريم فقال (هو صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية . ثم قال وتفصيل هذا :

أن الصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها ، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير ، ثم صلاح السريرة الخاصة ، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولاً من الصلاح الفردي . إذ الأفراد أجزاء المجتمع ، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية ...الخ ما قال في مقدمته .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المحور الثاني

أهمية معرفة مقاصد القرآن الكريم للمفسرين وغيرهم

القرآن الكريم ينطوي على أرقى المقاصد وأكبرها وأعلى المصالح وأعظمها فهو أصل الأصول ومصدر المصادر وأساس النقول والعقول [4].

إن جميع المقاصد الشرعية المعتبرة والمعلومة والمقررة في الدراسات الشرعية إنما هي راجعة في جملتها أو تفصيلها،تصريحا أوتضمينا إلى هدي القرآن وتعاليمه وأسراره وتوجيهاته. وهذا يتضح من خلال الآتي :

أولاً : يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى :(غرض المفسر بيان ما يصل إليه ، أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن ، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم ، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً .. مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء ، أو لتوقع مكابرة من معاند أو جاهل ، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله ، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ ، وللتنزيل اصطلاح وعادات).

ثانياً : يمكن النظر إلى أهمية مقاصدية القرآن الكريم عل جهة الإجمال من خلال ما يلي:

4/ توظيف المقاصد في فهم القرآن و تفسيره - د/ التهامي الوزاني - موقع شعبة الدرسات الاسلامية(بتصرف)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

1/ القرآن الكريم منه تستفاد مقاصد الشارع الحكيم من إرسال الرسل وتنزيل الكتب وبيان العقيدة والأحكام وتكليف المكلفين ومجازاتهم, وبعث الخلائق والحياة والكون و الوجود..فقد جاء أن المقصد من الخلق هو عبادة الخالق سبحانه والامتثال له, وقد دلت على هذا آيات كثيرة منها قوله تعالى:(وما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون) وقوله سبحانه:(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون)...

2/ من القرآن الكريم ثبتت الكليات الشرعية الخمس:حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فقد وردت جملة من نصوصه وأحكامه لتثبيت تلك الكليات وتدعيمها,واعتبارها أصولا قطعية معتبرة في كل الملل والأمم.

3/ من القرآن الكريم تحددت الكثير من الحكم والعلل والأسرار الجزئية التي تعلقت بأحكامها الفرعية والتي شكلت محتوى مهما أسهم في إبراز المقاصد وتكوينها.

4/ من القرآن الكريم استخلصت واستقرت ودونت بعض القواعد الفقهية ذات الصلة بالمقاصد الشرعية, فقد كان المنشغلون بفن القواعد يرجعون كل قاعدة إلى أصلها من القرآن والسنة أو منهما معا, ومن القواعد المبنية على نصوص من القرآن قاعدة :"المشقة تجلب التيسير" وقاعدة: "الضرورات تبيح المحظورات" وقاعدة:"الضرورة تقدر بقدرها" وقاعدة:"العادة محكمة".

5/ من القرآن الكريم استفيدت العديد من الخصائص العامة للشريعة الإسلامية المتصلة بالمقاصد الشرعية مثل خاصية التيسير والتخفيف ورفع الحرج والوسطية والاتزان والسماحة والرفق واللين والواقعية, وغير ذلك من الخصائص الكلية والسمات العامة التي تعاقب الباحثون والدارسون على طرقها وبيانها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ثالثاً : من تطبيقات المفسرين في توظيف المقاصد في فهم القرآن وتفسيره [5]:

بالاطلاع على ما كتبه بعض علمائنا المفسرين نجد هذا الضرب من المقاصد-مما سبقت الإشارة إليه- حاضرا عندهم، ونقف هنا على نموذج من كتب التفسير ويتعلق الأمر بكتاب: "أحكام القرآن" لأبي بكر بن العربي المعافري رحمه الله.

مما هو مقرر أن مقاصد الشريعة العامة هي التي تلاحظ في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرى، وتتمثل هذه الأوصاف في تميز التشريع الإسلامي باليسر ورفع الحرج كما تتمثل في المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية . فقد نبه ابن العربي – رحمه الله – على مقصد التيسير ورفع الحرج في مواضع كثيرة مما فسره من آيات الأحكام . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

1 – جاء في تفسير ابن العربي لقوله تعالى : **(قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين)** :قال علماؤنا : هذه لطيفة من الله سبحانه من بها على الخليقة، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم , ويرتكبون المعاصي, ويرتكبون المآثم , فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبدا توبة . ولا نالتهم مغفرة، فيسر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة ،وبذل المغفرة بالإسلام ،وهدم جميع ما تقدم ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين ، وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام ، وتأليفا على الملة ،وترغيبا في الشريعة ، فإنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما أنابوا ولا أسلموا) .

5/ السابق .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقد قرر ابن العربي – بناء على ما فسره – قاعدة تؤكد اعتباره لمقاصد الشريعة في التيسير ، إذ قال : (والتنفير مفسدة للخليقة ،والتيسير مصلحة لهم) وينبني على هذا أن التيسير في دعوة الناس إلى الإسلام ،منهج قرآني يشهد له ما فسر به ابن العربي الآية المتقدمة ،ولذلك أيضا شواهد أخرى ليس من صميم هذا البحث الخوض فيها أو التفصيل .

2 – قال ابن العربي في تفسير قوله تعالى : (**ويضع عنهم إصرهم)** : (الإصر هو الثقل ،وكان فيما سبق من الشرائع تكاليف كثيرة فيها مشاق عظيمة، فخفف تلك المشاق لمحمد صلى الله عليه وسلم فمنها مشقتان عظيمتان : الأولى في البول ، كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه ، فخفف الله ذلك عن هذه الأمة بالغسل بالماء ، وروى مسلم عن أبي وائل قال : كان أبو موسى يشدد في البول ويبول في قارورة ويقول : إن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض ، فقال حذيفة : لوددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد ،لقد رأيتني أنا ورسول الله نتماشى ، فأتى سباطة خلف حائط , فقام كما يقوم أحدكم فبال فانتبذت منه ، فأشار إلي فجئت فقمت عند عقبه حتى فرغ) .

ومن الإصر الذي وضع إحلال الغنائم ، وكانت حراما على سائر الأمم , ومنها ألا تجالس الحائض ولا تؤاكل ، فخفف الله ذلك في دينه ،فقال صلى الله عليه وسلم : (لتشد عليها إزارها ثم شأنه بأعلاها في أعداد لأمثالها) ،وقد جعل ابن العربي التيسير في الإسلام برفع الإصر والحرج أصلا عظيما في الدين وركنا من أركان شريعة المسلمين شرفنا الله سبحانه على الأمم به , فلم يحملنا إصرا ولا كلفنا في مشقة أمرا .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

3 – جاء في تفسير ابن العربي لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وجوهكم) إلى قوله تعالى :(إن الله كان عفوا غفورا) : دخول العفو والغفران على ما تقدم من الأحكام وانتظامها بهما ،ووجه ذلك أن عفو الله تبارك وتعالى إسقاطه لحقوقه أو بذله لفضله ومغفرته ستره على عباده ،فوجه الإسقاط هاهنا تخفيف التكليف ولو رد بأكثر للزمووجه بدله إعطاؤه الأجر الكثير على الفعل اليسير , ورفعه عن هذه الأمة في العبادات الإصر الذي كان وضعه على سائر الأمم قبلها , ومغفرته ستره على المقصرين في الطاعات وذلك مستقصى في آيات الذكر ...).

4 – قال ابن العربي في تفسير قوله تعالى : (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم): إن الكفر وإن كان بالإكراه جائزا عند العلماء فإن من صبر على البلاء ولم يفتتن حتى قتل فهو شهيد ، ولا خلاف في ذلك, وعليه تدل آثار الشريعة التي يطول سردها, وإنما وقع الإذن رخصة من الله رفقا بالخلق وإبقاء عليهم ولما في هذه الشريعة من السماحة ونفي الحرج ووضع الإصر) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المحور الثالث

لمحة عن كتابات العلماء في علم مقاصد القرآن الكريم

أولا : كتابات القدامى في علم المقاصد :

بداية نقول :لقد كان تعبير "مقصد الآية" متداولاً منذ عهد الطبري، ويعبر به عن دلالة لغوية.

وأما استعمال تعبير "مقاصد القرآن" فقد تراوح عند المتقدمين بين ما يدل على غايات إنزال القرآن (الغزالي)[6] وموضوعات القرآن الأساسية (ابن العربي)، أو الجمع بينهما (الرازي)، وقد يطابق أحياناً معاني مقاصد الشريعة (العز ابن عبد السلام).

ولا نجد بين المتقدمين من اتجه ابتداء إلى استخدام هذا التعبير "مقاصد القرآن" لمعنى خاص سوى الغزالي في "جواهر القرآن"، والمهايمي[7] في تفسيره معبراً به عن مقاصد لكل سورة هي جزء من مقاصد القرآن ككل، ولم يوضح دلالة هذا التعبير، لكن طريقة استخدامه له في مواضع كثيرة من افتتاحيات السور تحيل إلى تصور مسبق لديه، وهو جدير بالبحث والتتبع.

وأما كتاب العز بن عبدالسلام رحمه الله فعنوانه (نبذ من مقاصد الكتاب العزيز) وقد حققه وعلق عليه أيمن عبدالرزاق الشوا، ونشره المحقق عام 1416هـ وهذا

6/ هو العلامة القاضي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري وهوأحد تلامذة الغزالي ، من مؤلفاته قانون التأويل.أحكام القرآن وأنوار الفجروالناسخ والمنسوخ والقبس في شرح موطأ الإمام مالك والعواصم من القواصم ،(توفي 543) .

7/ هو العلامة أبو الحسن علي علاء الدين بن أحمد بن علي المهائمي الهندي الحنفي (776 - 835 هـ)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الكتاب ليس كتاباً مستقلاً للعز بن عبدالسلام، وإنما هو جزء ختم به المؤلف كتابه (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز)، وهو كتاب بلاغي قلَّ التنبه لهذا الباب ضمن طياته، رأى المحقق فائدة إفراده بالنشر ففعل.

وقد نقل أكثر مسائل هذا الكتاب العلماءُ الذين جاءوا بعد العز بن عبدالسلام كابن القيم في (بدائع الفوائد) وناقش كثيراً من مسائله، وكالزركشي في (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن)، و(الإتقان في علوم القرآن). ثم جاء بعد ذلك الفيروز أبادي فأكثر من استخدامه في (بصائر ذوي التمييز) ،أما تعبير ب "مقاصد السور" فقد استقر اصطلاحياً مع البقاعي .[8]

ثانيا : كتابات المعاصرين في علم المقاصد :

يقول الشيخ د/ عبد الرحمن معاضة الشهري [9]

لم أجد للمتقدمين تفصيلاً لمقاصد القرآن الكبرى ، وإنما يظهر بعض هذه المقاصد في أثناء تفسيرهم للآيات ، أو حديثهم عن مقاصد الشريعة على وجه الإجمال ، وأما مقصاد القرآن وتفصيلها فأكثر من عني به العلماء المتأخرون . فمن مؤلفات المعاصرين :

1/**كتب العلامة ابن عاشور كتابه مقاصد الشريعة** : وقسم مقاصد القرآن إلى ثمانية يمكن أن نلخصها في النقاط التالية :

8/ هو العلامة إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)

9 / مدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية، والمشرف العام على كرسي القرآن وعلومه بجامعة الملك سعود.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

1- إصلاح الاعتقاد ، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق.

2- تهذيب الأخلاق .

3- التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة .

4- سياسة الأمة وفيه صلاح الأمة وحفظ نظامها .

5- القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم والتحذير من مساوئهم .

6- التعليم بما يناسب عصر المخاطبين وما يؤهلهم لتلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار .

7- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير .

8- الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول .

1/ **كتب الشيخ يوسف القرضاوي** وفقه الله له في كتابه (كيف نتعامل مع القرآن) وقفات مع موضوع مقاصد القرآن فقد لخص هذه المقاصد في سبعة :

1- تصحيح العقائد والتصورات للألوهية والرسالة والجزاء ، وذلك بإرساء دعائم التوحيد .

2- تقرير كرامة الإنسان وحقوقه .

3- عبادة الله وتحقيق العبودية لله . (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

4- تزكية النفس البشرية .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

5- تكوين الأسرة وإنصاف المرأة .

6- بناء الأمة الشهيدة على البشرية بأن تكون متميزة عن غيرها .

7- الدعوة إلى عالم إنساني متعاون .

3/ الشيخ محمد أبو زهرة: تطرق في كتابه تنظيم الإسلام للمجتمع لموضوع المقاصد الشرعية وكان له فيه محاولة اجتهاد في إضافة بعض المقاصد إلى الخمسة المعروفة وهكذا أضاف المقاصد التالية:

أ- **مقصد الكرامة الإنسانية:** حيث اعتبر أن الشريعة جاءت من أجل تكريم الإنسان انطلاقا من قوله تعالى "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" ولذلك كانت التعاليم الإسلامية كلها تدور على كرامة الإنسان فلم يفرق الإسلام بين حر وعبد في هذه الكرامة وظهر ذلك في أحكام جزئية كثيرة.

ب- **مقصد العدالة:** حيث أن عنوان الشريعة الإسلامية في نظره هو العدل وهكذا حين سأل سائل النبي صلى الله عليه وسلم عن كلمة جامعة لمعاني الإسلام تلا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي"ومن تم قسم العدالة إلى شعب: العدالة القانونية، والعدالة الاجتماعية، ثم العدالة الدولية.

ج- مقصد التعاون الإنساني: انطلاقا من أن "التعاون في جلب الخير ودفع الشر مقرر في الحقائق الإسلامية" وهكذا يكون التعاون في نظره على مستوى الأسرة وعلى مستوى الجيران وعلى مستوى الأمة إلى أن يرقى فيصبح أخيرا على مستوى

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الإنسانية جمعاء ليحقق المقصود من قوله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

د- **مقصد الرحمة والمودة:** حيث اعتبرهما الإسلام أساس العلاقات الإنسانية فهما الصلة التي تربط كل من في هذه الأرض من بني الإنسان وشدد سبحانه العقاب على من يتسبب في قطع المودة التي أمر الله سبحانه بوصلها فقال: "والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار.

4/ **محمد الغزالي:** يرى ضرورة إضافة مقصدين إلى المقاصد الخمسة الضرورية وهما الحرية، العدالة. مستدلا بقول الله تعالى " :لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" فكأن العدالة هدف للنبوات كلها[10].

يقول الأستاذ عبد الرحمن حللي :

5/ السيد محمد رشيد رضا : كان له دور في تحميل "مقاصد القرآن" مضامين ودلالات جمعت بين موضوعات القرآن وغاياته ومقاصد الشريعة، ولم يقتصر على الأساسيات بل أضاف إليها تفاصيل جزئية وفرعية بحيث غدت "مقاصد القرآن" متضمنة مشمولات الإسلام، وأضاف إليها فروعاً هي من مسائل عصره، فغدا الموضوع السياسي وتفاصيله محوراً من مقاصد القرآن ، كما في كتابه الوحي المحمدي .

10/ الشيخ د/ عبد الرحمن معاضة الشهري – موقع أهل التفسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقد تابعه ابن عاشور مع تعديل واختصار وتفريق بين الغايات والموضوعات، وإن كان في ثنايا تفسيره تحرر من الضبط الذي حرره في مقدماته وادعى فيه الاستقراء.

6/ **وكان من بعده لمحمد عزت دروزة** عناية واضحة في التفريق بين الغايات والوسائل، وتوزيع الموضوعات القرآنية عليها. هذه الموضوعات القرآنية حظيت بدراسة معمقة لدى فضل الرحمن، والتي ربطها بمقصد قرآني محوري هو المقصد الأخلاقي.

ثم كثرت الدراسات في "مقاصد القرآن" متأثرة بسيولة البحث في "مقاصد الشريعة"، ومرادفة بينهما في كثير من الأحيان، أو تتعامل مع "مقاصد القرآن" جمعاً بين متناقضات في استعمالاته أو تعريفاته، فأصبح مركب "مقاصد القرآن" تعبيراً حمالاً لموضوعات القرآن وموضوعات الأحكام ومقاصد الشريعة وحكمها وخصائص الإسلام، ونفس الأمر ينسحب على "التفسير المقاصدي"، وقليل من الباحثين من تمكن من وضع ضوابط تمكن من فهم دلالة "مقاصد القرآن".[11]

11/ مقاربات مقاصد القرآن الكريم: دراسة تاريخية - عبد الرحمن حللي - موقع الملتقى الفكري للإبداع (بتصرف) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الأول

بيان المقصد الأول وهو التعريف بالمدعو إليه (الله تعالى)

تمهيد : ذكر كلام الغزالي مجملا .

المبحث الأول : من المقاصد الكلية للقرآن معرفة ذات الحق تبارك وتعالى.

المبحث الثاني : من المقاصد الكلية للقرآن معرفة صفات الحق تبارك وتعالى .

المبحث الثالث : من المقاصد الكلية للقرآن معرفة أفعال الحق تبارك وتعالى .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تمهيد :ذكر كلام الغزالي مجملا

المقصد الأول : في تعريف المدعو إليه :

وهو شرح معرفة الله تعالى، وذلك هو الكبريت الأحمر. وتشتمل هذه المعرفة على:

(1) معرفة ذات الحق تبارك وتعالى.

(2) ومعرفة الصفات.

(3) ومعرفة الأفعال.

وهذه الثلاثة: هي الياقوت الأحمر، فإنها أخصُّ فوائد الكبريت الأحمر، وكما أن لليواقيت درجات، فمنها الأحمر والأَكْهَبُ والأصفر، وبعضُها أنفس من بعض، فكذلك هذه المعارف الثلاثة ليست على رتبة واحدة، بل أَنْفَسُها:

(1) معرفة الذات: فهو الياقوت الأحمر؛ ثم يليه معرفة الصفات وهو الياقوت الأَكْهَب؛ ويليه معرفة الأفعال، وهو الياقوت الأصفر. وكما أن أَنْفَسَ هذه اليواقيت أجلُّ وأعزُّ وجوداً، ولا تظفر منه الملوك لِعِزَّته إلا باليسير، وقد تظفر مما دونَه بالكثير، فكذلك معرفة الذَّات أضيَقُها مجالاً وأعسَرُها منالاً وأعصَاها على الفكر، وأبعَدُها عن قبول الذِّكر؛ ولذلك لا يشتمل القرآن منها إلا على تلويحاتٍ وإشارات، ويرجع ذِكْرُها إلى ذكر التَّقديس المطلق كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وسورة الإخلاص وإلى التعظيم المطلق كقوله تعالى {سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السماوات والأرض}.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

(2) وأما الصفات: فالمجال فيها أفسح، ونطاق النُّطق فيها أوسع، ولذلك كَثُرَت الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة، والكلام والحكمة، والسمع والبصر وغيرها.

(3) وأما الأفعال: فبحرٌ مُتَّسِعَةٌ أَكنافُه، ولا تُنَال بالاستقصاء أطرافُه، لكن القرآن يشتمل على الجليِّ منها الواقع في عالم الشهادة، كَذِكْر السماوات والكواكب، والأرض والجبال، والشجر والحيوان، والبحار والنبات، وإنزال الماء الفُرات، وسائر أسباب النبات والحياة، وهي التي ظهرت للحِسّ. وأشرفُ أفعاله وأعجَبُها وأدلُّها على جلالة صانعها ما لم يظهر للحِسّ، بل هو من عَالَمَ المَلَكُوت، وهي الملائكةُ والرُّوحانِيَّات، والروحُ والقلب أعني العارف بالله تعالى من جملة أجزاء الآدَمِيّ، فإنهما أيضاً من جملة عَالَم الغَيْب والملكوت، وخارجٌ عن عالم المُلْكِ والشهادة، ومنها الملائكة الأرضية المُوَكَّلَة بجنس الإنس، وهي التي سجدت لآدمَ عليه السلام، ومنها الشياطينُ المُسَلَّطة على جنس الإنس، وهي التي امتنعت عن السجود له، ومنها الملائكة السَماوِيَّة، يُسَبِّحون الليلَ والنهارَ لا يفترون.

واعلم أن أكثر أفعال الله وأشرفها لا يعرفها أكثر الخلق، بل إدراكُهم مقصور على عالَم الحِسّ والتَّخْيِيل، وأنهما النتيجة الأخيرة من نتائج عالَم المَلكوت وهو القشر الأقصَى عن اللُّب الأصفَى، ومَن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الرُّمان إلا قِشرَته، ومن عجائب الإنسان إلا بَشَرَته.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الأول

من المقاصد الكلية للقرآن معرفة ذات الحق تبارك وتعالى

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى :

معرفة الذات : هو الياقوت الأحمر[12]؛ ثم يليه معرفة الصفات وهو الياقوت الأَكْهَب[13]؛ ويليه معرفة الأفعال، وهو الياقوت الأصفر[14]. وكما أن أنْفَسَ هذه اليواقيت أجلُّ وأعزُّ وجوداً، ولا تظفر منه الملوك لِعِزَّته إلا باليسير، وقد تظفر مما دونَه بالكثير، فكذلك معرفة الذَّات أضيَقُها مجالاً وأعسَرُها منالاً وأعصَاها

12/ كنت أستغرب من وصف الغزالي للشئ المهم بالياقوت الأحمر فدعاني ذلك للبحث عن السر في ذلك فوجدت ما يلي : تعتبر الأحجار الكريمة من الأحجار النفيسة التي تتواجد في باطن الأرض بعدة أنواع، ويختلف كل حجر كريم عن الآخر في نسبة الشوائب التي يتكون منها والعناصر المكونة، ويعد الياقوت الأحمر أحد هذه الأحجار الكريمة ويتميز بأنه من أندر الأحجار وأجملها على وجه الأرض، عُرِف هذا الحجر منذ العصور القديمة وكان يرمز للحكمة والنقاء، وكان الرومان والمصريون القدامى يصفونه بحجر العدالة، ومن صفات هذا الحجر الكريم لونه الذي يتفاوت بين الأحمر والأحمر الفاتح، يتواجد حجر الياقوت الأحمر بكثرة في مدغشقر وأستراليا وآسيا وإفريقيا وسيريلانكا وغيرها من الدول الأخرى وتُعد تايلاند من الدول المشهورة في تجارة الياقوت وأولها في تصنيعه وصقله،ومن فوائد حجر الياقوت الأحمر: أنه يساعد على تهدئة النفس ويمنحها الشعور بالسعادة.كما أن له تأثيرا إيجابيا على الجهاز العصبي حيث يفيد في علاج الأمراض المختلفة مثل التبلد الذهني والخوف الاجتماعي .

13/ الياقوت الأكهب هو الياقوت الأزرق : (البيئة والجيولوجيا) أحد أنواع الياقوت ، وهو معدن الكورانـدوم المركّب من أكسيد الألمنيوم ، ويعدّ من أنفس الجواهر ، موطنه جنوب شرق آسيا وأستراليا .

14/ الياقوت الاصفر، وهو الحجر الأكثر شعبية بين الاحجار الكريمة بعد الماس ، وهو يعني الحصول على المعرفة، والدفء والهدوء ولكن على عكس أشعة الشمس، ومن المعروف أن الياقوت الأصفر يعمل على تحقيق السلام في العقلية و من يرتدى هذا الحجر يجلب التوازن إلى مزاجهم حار تأثير كوكب المشتري في علم وظائف الأعضاء البشرية .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

على الفكر، وأبعَدُها عن قبول الذِّكر؛ ولذلك لا يشتمل القرآن منها إلا على تلويحاتٍ وإشارات، ويرجع ذِكْرُها إلى ذكر التَّقديس المطلق كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وسورة الإخلاص وإلى التعظيم المطلق كقوله تعالى {سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السماوات والأرض} .

قلت : وإنما جعل الغزالي رحمه الله تعالى معرفة الذات الإلهية في مقدمة مقاصد القرآن ، لأن العبد لا بد له من معرفة سيده إذ كيف يعبد مَن لا يعرف ، بل على قدر المعرفة بالله تكون عبودية الإنسان لربه ، وما حاد مَنْ حاد عن الطريق إلا بسبب جهله بربه ، وبالمقابل ما وُفِّق مَنْ وفق إلا لمعرفته بربه .

ومن هنا أكثر العلماء من الكلام في علم التوحيد والمعارف الإلهية إذ هي أساس كل خير يناله العبد في الدنيا والآخرة .

وكلام الغزالي هنا عن الذات الإلهية كلام مهم بل غاية في الأهمية وهو وإن كان مؤدياً للغرض المطلوب إلا أنه مختصر فيحتاج إلى شئ من البسط ، ولست هنا بصدد شرح عبارته شرحاً لفظياً لأدع للقارئ مجالاً للتوسع في فهمه - على حسب ما أوتي من علم - ولكن أحببت أن أتحدث عن قضية المعرفة بالذات الإلهية ولن أخرج عن دائرة الغزالي فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :

قال العلماء : إن حقيقة الذات الإلهية لا يمكن للعقل معرفتها، ولا يستطيع إدراك كُنْهِها؛ لأنها لا تحيط بها الفكرة، والإنسان لم يعط وسائل إدراكها بعد.

إن العقل البشرى مهما كان مبلغه من الذكاء وقوة الإدراك قاصر غاية القصور، وعاجز غاية العجز عن معرفة حقائق الأشياء.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فهو عاجز عن معرفة النفس الإنسانية، ومعرفة النفس لا تزال من أعقد مسائل العلم والفلسفة. وهو عاجز عن معرفة حقيقة الضوء، والضوء من أظهر الأشياء وأوضحها.

وعاجز عن معرفة حقيقة المادة، وحقيقة الذرات التى تتألف منها؛ والمادة ألصق بالإنسان. ولا يزال العلم يقف عاجزًا أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة، لا يستطيع أن يقول فيها الكلمة الأخيرة.

قال العلامة الفلكى المشهور (كاميل فلامَريون) فى كتابه (القوى الطبيعية المجهولة): " نرانا نفكر، ولكن ما هو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال؛ ونرانا نمشى، ولكن ما هو العمل العضلى؟ لا يعرف أحد ذلك .. أرى أن إرادتى قوة غير مادية، وأن جميع خصائص نفسى غير مادية أيضًا .. ومع ذلك فمتى أردت أن أرفع ذراعى، أرى أن إرادتى تحرك مادتى، فكيف يحدث ذلك؟ وما هو الوسيط الذى يتوسط للقوى العقلية فى إنتاج نتيجة مادية؟ يوجد من يستطيع أن يجيبنى عن هذا أيضًا؟ بل قل لى: كيف ينقل العصب البصرى صور الأشياء على العقل؟ وقل لى: كيف يدرك العقل هذا؟وأين مستقره؟ وما هى طبيعة العمل المخى؟ قولوا لى أيها السادة (يريد الملحدين) .. ولكن كفى كفى! فإنى أستطيع أن أسألكم عشر سنين، ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتى ".

فإذا كان موقف العقل هكذا حيال النفس والضوء والمادة، وما فى الكون المنظور وغير المنظور من أشياء .. فكيف يتطلع إلى معرفة ذات البارى جل شأنه؟ ويحاول إدراك كنهه؟!إن ذات الله أكبر من أن تدركها العقول، أو تحيط بها الأفكار، وما

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

أصدق قول الله سبحانه: {**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**} (1).

العجز عن معرفة حقيقة الأشياء لا ينفى وجودها :

وقصور العقل، وعجزه عن إدراك حقيقة الأشياء لا ينفى وجودها .. فعجزه عن إدراك حقيقة النفس لا ينفى أنها موجودة، وعجزه عن إدراك حقيقة الضوء لا ينفى وجود ضوء يعم الآفاق، وعجزه عن إدراك كنه الذرة لا ينفى أن ثمة ذرات تتكون منها المادة، وهكذا سائر الأشياء التى يقصر العقل عن إدراك حقيقتها ويعجز عن معرفة كنهها.

ومثل ذلك الذات الإلهية إذا عجز الإنسان عن إدراك حقيقتها، فليس معنى ذلك أنها غير موجودة، بل هى موجودة كأقوى ما يكون الوجود.

إن وجوده سبحانه فى حكم البدهيات الأولية، والمسلمات العقلية، وما كان كذلك لا يطالب بإقامة الدليل عليه، إلا المكابر، كالأعمى الذى يطلب إقامة الدليل على وجود الشمس أثناء النهار، ومع ذلك فنحن نسوق من الأدلة ما يهدى إلى الحق ويكشف عن وجه الصواب.

الآيات التي تتحدث عن الذات الإلهية :

هي آيات يسيرة جدا كما أشار إلى ذلك الغزالي ، وأنا اخترت آيتين فقط للكلام عليهما باختصار حسب ما يقتضي المقام :

الآية الأولى : آية الكرسي وهي أعظم آية تحدثت عن الذات الإلهية :

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

قال تعالى : {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحي القيوم لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السماوات والأرض وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العلي العظيم} سورة البقرة (254) .

وقبل الشروع في تفسيرها لا بد من الإشارة إلى أنه جاء في فضلها عدد الأحاديث النبوية وهي مشهورة معلومة لكن سأقف هنا مع حديثين ، أحدهما وصف آية الكرسي بأنها أعظم آيات القرآن ، والآخر وصفها بأنها سيدة آياته .

أما وصفها بأنها أعظم آيات القرآن : فقد جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد ومسلم، واللفظ له عن أبي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال : فضرب في صدري، وقال: (**والله ليهنك العلم أبا المنذر**) .

وأما وصفها بأنها سيدة آيات القرآن : فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (**سيدة آي القرآن آية الكرسي**). رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وأحببت أن أنقل لك أخي القارئ الكريم كلام الغزالي في الجواهر في التعليل لكونها سيدة آي القرآن .

قال الغزالي رحمه الله تعالى :

هل لك أن تتفكرَ في آية الكُرْسي أنها لِمَ تسمَّى سيدةُ الآيات، فإن كنتَ تعجز عن استِنْباطِه بتفكُّركَ فارجعْ إلى الأقسام التي ذكرناها والمراتبِ التي رتَّبناها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقد ذكرنا لك أنَّ معرفة الله تعالى ومعرفةَ ذاتِهِ وصفاتِهِ هي المقصدُ الأَقصى من علوم القرآن، وأن سائر الأقسام مُرادةٌ له وهو مُراد لنفسه لا لغيره، فهو المَتْبوعُ وما عداه التَّابع، وهي سيدةُ الاسم المقدَّم الذي يتوجه إليه وجوهُ الأتْبَاع وقلوبُهم فيحذون حَذْوَهُ وَينْحون نحوه ومَقْصِدَه، وآيةُ الكُرسي تشتمل على ذِكر الذَّات والصفات والأفعال فقط ليس فيها غيرها:

فقولُهُ: {الله} : إشارةٌ إلى الذات. وقولُهُ: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} : إشارةٌ إلى توحيد الذات.

وقولُهُ: {الحي القيوم} : إشارةٌ إلى صفةِ الذاتِ وجلاله، فإن معنى القَيُّوم هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره، فلا يتعلق قِوَامُهُ بشيء ويتعلق به قِوَامُ كل شيء، وذلك غايةُ الجَلال والعظمة.

وقولُهُ {لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ} : تَنْزيهٌ وتقديسٌ له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث، والتَّقديس عما يستحيل أحدُ أقسام المعرفة، بل هو أَوْضح أقسامها.

وقولُهُ {لَّهُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض} : إشارةٌ إلى كُلِّها، وأنَّ جميعها منه مصدَرُها وإليه مرجِعُها.

وقولُهُ {مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} : إشارةٌ إلى انفراده بالمُلكِ والحُكمِ والأمر، وأنَّ مَن يملك الشفاعةَ فإنما يملكُ بِتَشريفِهِ إياه والإذن فيه، وهذا نفي لِلشَّرِكَة عنه في المُلكِ والأمر.

وقوله {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ} إشارةٌ إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات، والانفراد بالعلم، حتى لا عِلْمَ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

لغيره من ذاته، وإن كان لغيره علمٌ فهو من عطائه وهبته، وعلى قَدْرِ إرادته ومشيئَتِه.

وقوله {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السماوات والأرض} : إشارةٌ إلى عَظمة مُلْكهِ وكمالِ قُدرته، وفيه سِرٌّ لا يحتملُ الحالُ كشفَهُ، فإن معرفةَ الكُرسي ومعرفةَ صفاته، واتِّساعِ السماواتِ والأرض معرفةٌ شريفةٌ غامضة، ويرتبط بها علوم كثيرة.

وقوله {وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا} : إشارةٌ إلى صفات القُدرة وكمالها، وتَنْزِيهها عن الضَعف والنقصان.

وقوله {وَهُوَ العلي العظيم} : إشارةٌ إلى أصلَيْنِ عظيَمين في الصفات، وشرح هذين الوَصْفَين يطول، وقد شرحنا منهما ما يحتمل الشرحَ في كتاب "المَقْصِد الأَسْنَى في أسماءِ الله الحُسْنَى" فاطلبه منه.

والآن إذا تأملت جملة هذه المعاني، ثم تَلَوْتَ جميع آيات القرآن لم تجد جملةَ هذه المعاني من التوحيدِ والتَّقديسِ وشرح الصفات العُلَى مجمعةً في آية واحدة منها، فلذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سيدةٌ آي القرآن": فإنَّ آية {شَهِدَ الله} ليس فيه إلا التوحيد؛ و {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} ليس فيه إلا التوحيدُ والتقديس؛ و {قُلِ اللهم مَالِكَ الملك} ليس فيه إلا الأفعال وكمال القدرة؛ و"الفاتحة" فيها رموزٌ إلى هذه الصفات من غير شرح، وهي مشروحةٌ في آية الكُرسي، والذي يَقْرُبُ منها في جميع المعاني آخِرُ الحَشْر، وأوَّلُ الحديد، إذْ اشتَملا على أسماء وصفات كثيرة، ولكنها آيات لا آية واحدة، وهذه [آية الكُرسي] آيَةٌ واحدة، إذا قابَلتَها بإحدَى تلك الآيات وجدتَها أجمعَ المقاصد، فلذلك تستحق السِّيَادة على الآي. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هي سيِّدةُ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الآيات"؛ كيفَ لا وفيها الحَيُّ القَيُّوم، وهو الاسمُ الأَعظم، وتحته سِرٌّ، ويشهدُ له ورودُ الخبر بأنَّ الاسمَ الأعظَم في آيةِ الكُرسيّ، وأوَّلِ آلِ عِمْران، وقولِهِ {وَعَنَتِ الوجوه لِلْحَيِّ القيوم}[15] . انتهى كلام الغزالي .

قلت : وها أنا أنقل لك كلامه عن الاسمين الذين أشار إليهما من كتابه (المقصد الأسنى) - باختصار - :

الْعلي : هُوَ الَّذِي لَا رُتْبَة فَوق رتبته وَجَمِيع الْمَرَاتِب منحطة عَنهُ وَذَلِكَ لِأَن الْعلي مُشْتَقّ من الْعُلُوّ والعلو مَأْخُوذ من الْعُلُوّ الْمُقَابل للسفل وَذَلِكَ إِمَّا فِي دَرَجَات محسوسة كالدرج والمراقي وَجَمِيع الْأَجْسَام الْمَوْضُوعَة بَعْضهَا فَوق بعض وَإِمَّا فِي الرتب المعقولة للموجودات الْمرتبَة نوعا من التَّرْتِيب الْعقلِيّ فَكل مَا لَهُ الْفَوْقِيَّة فِي الْمَكَان فَلهُ الْعُلُوّ المكاني وكل مَا لَهُ الْفَوْقِيَّة فِي الرُّتْبَة فَلهُ الْعُلُوّ فِي الرُّتْبَة والتدريجات الْعَقْلِيَّة مفهومة كالتدريجات الحسية وَمِثَال الدَّرَجَات الْعَقْلِيَّة هُوَ التَّفَاوُت الَّذِي بَين السَّبَب والمسبب وَالْعلَّة والمعلول وَالْفَاعِل والقابل والكامل والناقص فَإِذا قدرت شَيْئا فَهُوَ سَبَب لشَيْء ثَان وَذَلِكَ الثَّانِي سَبَب لثالث وَالثَّالِث لرابع إِلَى عشر دَرَجَات مثلا فالعاشر وَاقع فِي الرُّتْبَة الْأَخِيرَة فَهُوَ الْأَسْفَل الْأَدْنَى وَالْأول وَاقع فِي الدرجَة الأولى من السَّبَبِيَّة فَهُوَ الْأَعْلَى وَيكون الأول فَوق الثَّانِي فوقية بِالْمَعْنَى لَا بِالْمَكَانِ والعلو عبارَة عَن الْفَوْقِيَّة.

15/ يشير إلى حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اسْمُ اللَّهِ الأَعظَمُ فِي سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ ثَلَاثٍ : فِي البَقَرَةِ " وَ آلِ عِمرَانَ وَ طَهَ) .رواه ابن ماجه (3856) وحسَّنه الألباني في " صحيح ابن ماجه "

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الْعَظِيم : اعْلَم أَن اسْم الْعَظِيم فِي أول الْوَضع إِنَّمَا أطلق على الْأَجْسَام يُقَال هَذَا جسم عَظِيم وَهَذَا الْجِسْم أعظم من ذَلِك الْجِسْم إِذا كَانَ امتداد مساحته فِي الطول وَالْعرض والعمق أَكثر مِنْهُ ثمَّ هُوَ يَنْقَسِم إِلَى عَظِيم يمْلَأ الْعين وَيَأْخُذ مِنْهَا مأخذا وَإِلَى مَا لَا يتَصَوَّر أَن يُحِيط الْبَصَر بِجَمِيعِ أَطْرَافه كالأرض وَالسَّمَاء فَإِن الْفِيل عَظِيم وَلَكِن الْبَصَر قد يُحِيط بأطرافه فَهُوَ عَظِيم بِالْإِضَافَة إِلَى مَا دونه وَأما الأَرْض فَلَا يتَصَوَّر أَن يُحِيط الْبَصَر بأطرافها وَكَذَا السَّمَاء فَذَلِك هُوَ الْعَظِيم الْمُطلق فِي مدركات الْبَصَر

فَافْهَم أَن فِي مدركات البصائر أَيْضا تَفَاوتا فَمِنْهَا مَا تحيط الْعُقُول بكنه حَقِيقَته وَمِنْهَا مَا تقصر الْعُقُول عَنهُ وَمَا تقصر الْعُقُول عَنهُ يَنْقَسِم إِلَى مَا يتَصَوَّر أَن يُحِيط بِهِ بعض الْعُقُول وَإِن قصر عَنهُ أَكْثَرهَا وَإِلَى مَا لَا يتَصَوَّر أَن يُحِيط الْعقل أصلا بكنه حَقِيقَته وَذَلِكَ هُوَ الْعَظِيم الْمُطلق الَّذِي جَاوز جَمِيع حُدُود الْعُقُول حَتَّى لَا تتَصَوَّر الْإِحَاطَة بكنهه وَذَلِكَ هُوَ الله تَعَالَى .

ثم أقول: وإن كان الغزالي قد فسر بعض كلمات هذه الآية العظيمة إلا أنه لم يكن مقصوده التفسير بل الإشارة إلى السبب في كونها نالت هذه المنزلة بين آيات القرآن الكريم ، ومن هنا كان لا بد من نقل بعض ما جاء في تفسيرها عن أهل العلم فأقول ومن الله أرجو التوفيق والقبول[16] :

16/ اعلم أن من العلماء من أفرد تفسير آية الكرسي بمؤلف خاص ومن أولئكم السيوطي ، وبرهان الدين البقاعي وسماه (الفتح القدسي في آية الكرسي) ومن المعاصرين الشيخ ابن عثيمين والدكتور: فضل إلهي ظهير تفسير آية الكرسي وللعلامة محمد متولي الشعراوي كتاب

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الله لآ إِلَهَ إلاَّ هُوالحيُّ القيُّوم :

في هذه الآية وصْف الله تعالى بأنه لا إله سواه أي لا أحد يستحق أن يُعبد إلا الله وأنه حيٌّ أي ذو حياة أزلية أبدية ليست كحياة غيره بل حياة غيره بالروح والدم واللحم ، وفي هذه الآية إثبات أن الله مستغنٍ عن كل شيءٍ واحتياج كل شيءٍ إليه ، وكذلك في هذه الآية إثبات أن الله موجود بلا بداية ، فالموجود بلا بداية لا يحتاج إلى غيره لأن وجوده بذاته ، أما ما سوى الله فوجوده بغيره ، وما سوى الله حادث ، لأنه لم يوجد إلا بإيجاد الله وكل موجودٍ حادث إلاّ الله تعالى فإنه أزلي فهوالموجود بذاته ، الله تعالى أوجد الأشياء ، أبرزها من العدم إلى الوجود .

العوالم العلوية والسفلية بما فيها من ذوي الأرواح كالملائكة والإنس والجن لا تستغني عن الله لحظة ، فلا موجود بذاته إلا الله ، ولا يقال لا موجود إلا الله لأن هذا القول فاسد إنما الكلمة الصحيحة هي لا موجود بذاته إلا الله .

بعنوان (يصبِح المؤمن ويمسي في ظلال آية الكرسي) بل وحصر بعض الباحثين المؤلفات في آية الكرسي فزادت على الخمسين مؤلفاً ، هذا عدا عن المؤلفات في فضائلها .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

القيُّوم : الله تبارك وتعالى وصف نفسه أيضا في هذه الآية القيوم أي المدبر لجميع الأشياء ، الله تبارك وتعالى هومُدبِّر كلَّ الأشياء . سيأتي مزيد بيان لاسميه تعالى(**الحي القيوم**) بعد الانتهاء من تفسير الآية .

لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْم :

أي لا يصيبه نعاس ولا نَوْمٌ منزَّه عن النعاس والنوم ، فالله تعالى منزه عن التطور والإنفعالات وهوخلق فينا الإنفعالات والتطورات لأن خالق الشيء لا يكون موصوفا بما خَلَقَ ، الذي خلق النوم والنعاس والتطور والإنفعالات لا يكون مثل هذه الصفات ، نحن رضانا وحبنا وكراهيتنا إنفعال نفسي ، فأما الله تعالى فلا يجوز أن تكون محبته للمؤمنين إنفعال نفسي ، يُفهم من هذه الكلمة **لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نومُ** أي تنزيه الله عن أن يصيبه تطور وإنفعالات ، فكما ننفي عن الله النوم والنعاس يجب أن ننفي عنه سائر التطورات والإنفعالات . فلا يجوز الإعتقاد أن محبة الله للمؤمنين وكراهيته للكفار إنفعالات .

لَهُ مَا في السَّمواتِ وما في الأرضِ :

قال الله تعالى: له ما في السموات وما في الأرض أي أنه مالك ما في السموات وما في الأرض ، أي من ذوي العقول كالملائكة والإنس والجن وغير ذوي العقول كالبهائم وغيرها، الله تعالى مالك كلِّ ذلك .

مَن ذا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإذنِه :

معنى هذه الكلمة أن لا أحداً يشفع عند الله إلا بإذن الله ، فيوم القيامة يشفع الملائكة لعصاة المسلمين . الملائكة بما أنهم أطهار ليس عليهم ذنوب ، مطيعون

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

لربهم لا يعصون الله ، يُشَفِّعُهُمُ الله تعالى في عصاة المسلمين ، بعض عصاة المسلمين الذين ماتوا قبل التوبة يشفِّع الله تعالى فيهم الملائكة وبعضهم يشفِّع فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأولياء أمته والشهداء يَشْفَعون ، أما سائر الأنبياء فإنما يشفعون لعصاة المسلمين من أمَمِهم ، المسيح يشفع في عصاة المسلمين من أمته من أهل الكبائر لكنه لا يشفع إلا بإذن الله ، كذلك موسى يشفع في عصاة أمته ، أما الكفار فلا يشفع فيهم أحد من أنبياء الله لا المسيح ولا محمد . الله لا يأذن لا للأنبياء أن يشفعوا للكفار كذلك الرسول لا يشفع لمن مات على الكفر ، وكذلك المسيح وموسى لا يشفع لهؤلاء اليهود الذين كذَّبوا المسيح ومحمد قال الله تعالى لا يشفعونَ إلاَّ لِمَنِ ارتضى أي إلاَّ لمن مات على الإيمان .

أهل السموات الملائكةُ وأهل الأرض الأنبياءُ والأولياءُ والشهداءُ لا يشفعون يوم القيامة إلا لعصاة المسلمين ، لا يشفعون لمن عبد غير الله ، فمن ظن أن نبيا من أنبياء الله يشفع لبعض الكفار فإنه كَفَرَ لأنه كذَّب القرآن .

يعلم ما بين أيديهِم وما خلفهُم ولا يحيطون بشيءٍ من علمِه إلاَّ بما شآء :

هذه الآية تخبرنا بأن أهل السموات والأرض وغيرهم حتى أولياء الجن لا يحيطون بشيء من علم الله من معلومات الله إلا بالقدْر الذي علمهم الله ، القدْر الذي شاء الله أن يعلمونه، كذلك الملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله وكذلك الأولياء ، الله تعالى هوالذي أحاط بكل شيء علما ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذاتِ يوم ضاعت ناقةً له ، فقال بعض الكفار مستهزئاً بالرسول أن محمداً يزعم أنه يؤتيه خبر السماء وهولا يدري أين ناقته التي ضاعت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أني لا أعلم إلا ما علمني ربي وإنها بمكان كذا ، فذهبوا فوجدوها في المكان

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الذي اخبر رسول الله . الأنبياء لا يعلمون إلا ما علمهم الله فكيف الجن الذي ليس فيهم نبي ولكن فيهم أولياء ، وإنما الجن يأخذون أمور الدين من أنبياء البشر .

وَسِعَ كُرْسِيُّه السمواتِ والأرضِ :

الكرسيُّ هو جِرم كبير عظيم خلقه الله تعالى . جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**) صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة .

هذا الكرسيِّ الذي يقول الله عنه وسع كرسيه السموات والأرض أي أن ذلك الكرسيِّ وإن كان صغيرا بالنسبة للعرش يسع السموات والأرض، وهذا العرش الكريم يكون بالنسبة إلى الكرسيِّ زائداً في إتساع المساحة لعُظْمِ جِرمه كما تكون الحلقة في الفلاة ،وهذا معنى قوله تعالى : (وسع كرسيه السموات والأرض).

ولا يُؤُدُهُ حِفْظُهُمَا :

أي كل شيء خلقه الله تعالى ، وكلها هينة على الله ، كما أن خَلْقَ الذرّة هينة على الله كذلك السموات والأرض والعرش ، لا يصعب شيء على الله ولا يصيبه تعب . فالله تعالى خلق السموات والأرض بقدرته، فالله ليس كمثله شيء فهو يفعل ما يريد أي أنه تعالى يخلق ما يشاء بلا تعب ولا مشقة تلحقه .

وقال بعضهم : (**ولا يُؤُدُهُ حِفْظُهُمَا**) أي لا يثقله حفظ هذه العوالم بما فيها ولا يشق عليه (**وهو العلي العظيم**)فيتعالى بذاته أن يكون شأنه كشأن البشر في

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

حفظ أموالهم ، ويتنزه بعظمته عن الاحتياج إلى من يعلمه بحقيقة أحوالهم ، أو يستنزله إلى ما لم يكن يريد من مجازاتهم على أعمالهم .

قال البقاعي - باختصار - : ((وهو) أي مع ذلك كله المتفرد بأنه (العلي) أي الذي لا رتبة إلا وهي منحطة عن رتبته **(العظيم)** كما أنبأ عن ذلك افتتاح الآية بالاسم العلم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى علوا وعظمة تتقاصر عنهما الأفهام لما غلب عليها من الأوهام.

قال سبحانه وتعالى فيما أنبأ عنه نبيه صلى الله عليه وسلم "**الكبرياء ردائي**" لأن الرداء هو ما على الظاهر "**والعظمة إزاري**" والإزار ما ستر الباطن والأسفلفإذا في السماء كبرياؤه وفي الأرض عظمته، وفي العرش علوه وفي الكرسي عظمته، فعظمته أخفى ما يكون حيث التفصيل، وكبرياؤه وعلوه أجلى ما يكون حيث الإبهام والانبهام، فتبين بهذا المعنى علو رتبة هذه الآية بما علت على الإيمان علو الإيمان على الكفران، ولما ألاحته للأفهام من قيوميته تعالى وعلوه وعظمته وإبادة ما سواه في أن ينسب إليهم شيء لأنه سبحانه وتعالى إذا بدا باد ما سواه) انتهي .

وقال بعض المفسرين :

إن جملة الآية تملأ القلب بعظمة الله وجلاله وكماله ، حتى لا يبقى فيه موضع للغرور بالشفعاء الذين يعظمهم المغرورون تعظيما خياليا غير معقول حتى ينسون أنهم بالنسبة إلى الله تعالى عبيد مربوبون ،أو (**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**) الأنبياء (27 ، 28) فمن تدبر هذه الآيات وأمثالها مما ورد في علم الله وعظمته وانفراده بالسلطة لا سيما في ذلك اليوم وهو يوم الدين ،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فإن عظمته تعالى لا تدع في نفسه غرورا ، بل يوقن بأن لا سبيل إلى السعادة في الآخرة إلا بمرضاة الله - تعالى - في الدنيا ، فمن لم يكن مرضيا لله - تعالى - لا يتجرأ أحد على الشفاعة له كما تلوت في الآية الكريمة آنفا .

واتل أيضا قوله - تعالى - عن ذلك اليوم : (**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا * وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**)[طه : 108 - 113] وإنك لتجد المسلمين يترنمون بهذه الآيات وقلما تحدث لأحد منهم ذكرا يصرفه عن حمل الظلم لنفسه ولغيره ، والاعتماد في النجاة على وعد الله لمن يعمل الصالحات وهو مؤمن ، بل ترى الجماهير يعرضون عن هذا الذكر ويرجون النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة بالشفاعات فقط .

فائدة مهمة :

قال السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله - في تفسير المنار عند تفسير آية الكرسي :

وقد كنت كتبت في كتاب العقائد على وجه يليق بمعارف هذا العصر ويفيد طلاب علومه - كلاما في حياة الله - تعالى - قريبا من الأفهام ،وإنني أحب إيراده هنا ، لأنني لم أر في كتب التفسير ولا في كتب الكلام كلاما ممتعا في هذا المقام ، وهو وارد بأسلوب السؤال من تلميذ مبتدئ في المدارس والجواب من أخيه وهو عالم عصري

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

طبيب نعبر عنه بالشاب ، ومن أبيه وهو عالم صوفي ، نعبر عنه بالشيخ . وهذا نصه باختصار :

قال التلميذ : تنبت الشجرة صغيرة ثم تنمو حتى تكون في زمن قريب أضعاف ما كانت ، فمن أين تجيء هذه الزيادة ؟ وكيف تدخل في بنيتها وتتفرق فتأخذ الساق منها حظا والفروع حظا وكذلك الورق والثمر ؟

الشاب : إن هذه الزيادة التي تدخل في بنية النبات ، بعضها من الأرض وبعضها من الهواء ، والنبات جسم حي ، فهو بصفة الحياة يأخذ من عناصر الأرض والهواء ما يصلح لغذائه فيتغذى به ، كما يتغذى الحيوان بما يأكله ويشربه ، وينمو بذلك كما ينمو الحيوان .

التلميذ : إننا لا نرى في الأرض ولا في الهواء شيئا من مادة النبات ولا من صفاته كاللون والطعم والرائحة .

الشاب : إنه يأخذ منها العناصر البسيطة فيأخذ من الهواء الأكسجين والنيتروجين " الأزوت " وكذلك الكربون وبعض الأملاح التي توجد في الهواء عادة وإن لم تكن جزءا منه ، ويأخذ من الأرض ما يناسبه من عناصرها الكثيرة كالبوتاسا والفسفور والحديد والجير والأملاح ، ويكون مما يأخذه من ذلك غذاءه بعمل كيماوي منتظم ، يعجز عن مثله أعلم علماء الكمياء ، وقد علمت أن جميع هذه الصور المختلفة الأشكال والصفات إنما اختلف بعضها عن بعض باختلاف التركيب الكيماوي وعمل الطبيعة ، حتى إن مادة السكر هي عين المادة التي يتكون منها الحنظل ، والماس والفحم الحجري من عنصر واحد .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الشيخ : إن النبات لا حياة فيه ولو كان يعمل عمله الذي ذكرت في معنى النمو وكيفيته بما تقتضيه صفة الحياة التي أثبتها له ، لكان عالما بعمله ومختارا فيه ، ولم يرد بهذا نقل ، ولا أثبته عقل ، فنمو النبات إنما يكون بمحض قدرة الله - تعالى - .

الشاب : لا دليل على أن للنبات علما ولا على أنه لا علم له ، فهو في عمله كأعضاء الإنسان وغيره من الحيوانات التي تعمل أعمالا منتظمة لا شعور للإنسان بها ولا هي صادرة عن علمه وتدبيره ; كأعمال المعدة والكبد في هضم الطعام ، فليس عندنا دليل على أن للمعدة علما خاصا ولا على أنه لا علم لها ، ولكننا نعلم أنها عضو حي بحياة صاحبه فإذا أبين منه ثم وضع فيه الطعام فإنه لا يعمل ذلك العمل ، وكون كل شيء بقدرة الله لا يمنع أن يكون لكل شيء سبب ; فالله - تعالى - حكيم لا يعمل شيئا إلا بنظام (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) الملك (3) .

التلميذ : من أين تكون هذه الحياة النباتية للنبات ، والحياة الحيوانية للحيوان ، فهل المادة التي يتغذى بها النبات حية فيأخذ منها حياته ؟

الشاب: كلا ، إن مواد التغذية ليست حية بنفسها ، ألا ترى أن الإنسان لا يأكل شيئا من الحيوان إلا بعد إماتته بنحو الذبح والطبخ ، ولا يأكل نباتا إلا بعد إزالة حياته النباتية ولو بالقطع والمضغ فقط ؟ وكذلك النبات ، ولكن في النواة التي تتولد منها الشجرة والبيضة التي يتولد منها الحيوان حياة كامنة مستعدة للنمو بالتغذية على ما نشاهد في الكون ، وهذه الحياة مجهولة الكنه والمبدأ حتى اليوم ، وأمرها أخفى من أمر المادة في كنهها ومبدئها .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الشيخ : إذا كنتم في علمكم هذا أرجعتم جميع العناصر التي تألفت منها مادة الكون إلى شيء واحد عرف أثره ولم يعرف حقيقته - كما قلت في مبحث الوحدانية - فما بالكم تقفون في حياة بعض المواد كالنبات والحيوان ، وتقولون : لا نعرف مبدأ حياته وحقيقتها وتقفون عند هذا الحد ، ولا تقولون : إن الذي صدرت عن ذاته جميع الذوات هو الحي القيوم الذي صدرت عن حياته كل حياة ؟

الشاب : لا شك أن الوجود الواجب القديم هو حي كما أنه قيوم ، فإذا كان معنى قيوميته أنه قائم بنفسه وكل شيء قائم به ، فكذلك هو حي بذاته وكل ما عداه من الأحياء فهو حي به ،أي إنه يستمد حياته منه - يعني من اسمه المحي - لأن هذه الأحياء كلها من نبات وحيوان هي حادثة ، والحادث : هو ما كان وجوده من غيره لا من ذاته . فالحياة أمر وجودي ، بل هي أعلى مراتب الوجود . فهل يقول عاقل : إن تلك الذات الأزلية قد صدرت عنها أشياء كلها بلا حياة ، ثم إن بعضها أحدث لنفسه حياة ؟ هذه سخافة لا تخطر في بال عاقل ،فالإنسان أرقى الأحياء على هذه الأرض، لأن من أثر حياته العلم بالكليات والإرادة والتدبير والنظام ، ومن هو عاجز عن هبة الحياة لنفسه ولغيره من الأحياء أحق بالعجز .

التلميذ : إذا كانت الحياة التي أثرها العلم والإرادة والتدبير والنظام هي أرقى مراتب الحياة وهي حياة الإنسان ، ألا يلزم من ذلك مشابهة حياة الإنسان لحياة الله - تعالى - ;لأن هذه الخصائص هي لحياة الله - تعالى - أيضا ؟

الشيخ : اعلم يا بني أن ذات الله - تعالى - لا تشبه الذوات ، وصفاته لا تشبه الصفات ، فإذ طرأت عليك الشبهة في أثر الحياة فقط لأن حقيقتها مجهولة فتأمل الفرق بين الحياتين : إن حياة الله - تعالى ذاتية ، - وحياة الإنسان من الله - تعالى -

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

، إن حياة الله - تعالى - أزلية وحياة الإنسان حادثة ، إن حياة الله - تعالى - لا تفارقه وحياة الإنسان تفارقه حين يموت ، إن حياة الله - تعالى - هي التي تفيض الحياة على كل حي وحياة الإنسان خاصة به ، وكذلك العلم والتدبير والإرادة والنظام ، كل ذلك ناقص في الإنسان والله - تعالى - منزه عن النقص ، وإليه ينتهي الكمال المطلق في ذاته وصفاته . انتهى المراد نقله من تلك العقيدة .

وهذا الذي قلناه في بيان معنى الحي القيوم يجلي لمن وعاه ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن هذا اسم الله الأعظم أو قال : " أعظم أسماء الله الحي القيوم " وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين (**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**) [البقرة: 163] وفاتحة آل عمران (**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**):

فالآية الأولى : تثبت له - تعالى - وحدانية الألوهية مع الرحمة الشاملة ، **والثانية** : تثبت له مع الوحدانية الحياة التي تشعر بكمال الوجود وكمال الإيجاد بإضافة الحياة على الأحياء ، والقيومية وهي كونه قائما بنفسه ، أي ثابتا بذاته وكون غيره قائما به ، أي ثابتا وموجودا بإيجاده إياه وحفظه لوجوده بإمداده بما يحفظ به الوجود من الأسباب .

ومن معاني هذه القيومية : القيام بالقسط كما قال تعالى : (**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط**) آل عمران (18) والقسط هنا : هو العدل العام في سننه الكونية وشرائعه ، ومنها القيام على كل نفس بما كسبت كما قال : (**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**) [الرعد : 33]

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الآية الثانية :قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) سورة فاطر (11)

قال السعدي :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. { وَهُوَ السَّمِيعُ } لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. { الْبَصِيرُ } يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } وعلى المعطلة في قوله: **{ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }** .

وقال الطاهر ابن عاشور :

واعلم أن هذه الآية نفت أن يكون شيء من الموجودات مثلاً لله تعالى . والمثل يُحمل عند إطلاقه على أكمل أفراده ، قال فخر الدّين «المثلان : هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته» اه .

فلا يسمّى مثلاً حقاً إلا المماثل في الحقيقة والماهية وأجزائها ولوازمها دون العوارض ، فالآية نفت أن يكون شيء من الموجودات مماثلاً لله تعالى في صفات ذاته لأن ذات الله تعالى لا يماثلها ذواتُ المخلوقات ، ويلزم من ذلك أن كل ما ثبت للمخلوقات في

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

محسوس ذواتها فهو منتففٍ عن ذات الله تعالى . وبذلك كانت هذه الآية أصلاً في تنزيه الله تعالى عن الجوارح والحواسّ والأعضاء عند أهل التأويل والذين أثبتوا لله تعالى ما ورد في القرآن مما نسميه بالمتشابه فإنما أثبتوه مع التنزيه عن ظاهره إذ لا خلاف في إعمال قوله : {ليس كمثله شيء} وأنه لا شبيه له ولا نظير له .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الثاني

من المقاصد الكلية للقرآن معرفة صفات الحق تبارك وتعالى

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالى :

وأما الصفات: فالمجال فيها أفسح، ونطاق النُّطق فيها أوسع، ولذلك كَثُرَت الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة، والكلام والحكمة، والسمع والبصر وغيرها.

قلت : جاءت إشارة الغزالي لصفات الله تعالى مجملة لأن الحديث عنها ليس مقصودا لذاته بل المقصود هو بيان كونها من المقاصد المهمة التي أنزل القرآن لبيانها ومن هنا كان لا بد من ذكر شئ مما يتعلق بصفاته تعالى ، كما لابد من بيان كيفية الاستفادة منها باعتبارها مقصدا من مقاصد القرآن ، فصار لدينا محوران :

المحور الأول : معرفة صفات الله تعالى :

مفهوم صفاته تعالى : هي ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت به نصوص الكتاب والسنة. ولتكتمل المعرفة بها أذكر تقسيمات العلماء لها :

صفات الله عز وجل تنقسم إلى أقسام باعتبارات مختلفة [17] :

القسم الأول : باعتبار الثبوت وعدمه ، وهو نوعان :

17/ موقع الإسلام سؤال وجواب – إشراف الشيخ محمد صالح المنجد (بتصرف) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

أ . **صفات ثبوتيه :** وهي التي أثبتها الله لنفسه ، أو أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ، كالحياة والعلم والوجه والنزول والاستواء وغيرها من الصفات ، وكلها صفات مدح وكمال ، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، وهذا النوع يجب إثباتها له سبحانه .

وهذه الصفات هي التي أكثر ذكراً في القرآن لما فيه من إجلال الله تعالى وتعظيمه ومن ذلك : قوله تعالى (الله لا إله إِلاَّ هُوَ الحي القيوم) سورة آل عمران (2)

وقوله تعالى (ذلك لتعلموا أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض وَأَنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اعلموا أَنَّ الله شَدِيدُ العقاب وَأَنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ) . سورة المائدة (97-98).

وقوله تعالى : (إِنَّ الله لاَ يخفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأرض وَلاَ فِي السمآء هُوَ الذي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأرحام كَيْفَ يَشَآءُ لاَ إله إِلاَّ هُوَ العزيز الحكيم) سورة آل عمران (5 - 6)

ب . **صفات سلبية :** وهي التي نفاها الله عن نفسه ، أو نفاها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، كالموت ، والنوم ، والظلم ، وكلها صفات نقص ، والواجب في هذا النوع نفي النقص مع إثبات كمال الضد ، فقوله تعالى : **(وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)** الكهف : 49 ، فيجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله وثبوت ضده وهو العدل الذي لا ظلم فيه .ومن ذلك ما ورد في آية الكرسي **(لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ)** .

وهذا النوع من الصفات ذكره في القرآن قليل بل تكاد تكون آياته محدودة لأن الأصل في المدح هو ذكر صفات الكمال وليس نفي النقائص .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

القسم الثاني : باعتبار أدلة ثبوتها ، وهو نوعان :

أ - **صفات خبرية :** وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتسمى (صفات سمعية أو نقلية) ، وقد تكون ذاتية ، كالوجه ، واليدين ، وقد تكون فعلية ، كالفرح ، والضحك .

ب - **صفات سمعية عقلية :** وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي) والدليل العقلي ، وقد تكون ذاتية ، كالحياة والعلم ، والقدرة ، وقد تكون فعلية ، كالخلق ، والإعطاء .

القسم الثالث : باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله ، وهو ثلاثة أنواع :

أ - **صفات ذاتية :** وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها ، فهي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى ، كالعلم ، والقدرة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والوجه ، واليدين ونحو ذلك ، ويسمى هذا النوع (الصفات اللازمة لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها) .

ب - **صفات فعلية :** وهي التي تتعلق بمشيئة الله ، إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، وتتجدد حسب المشيئة ، كالاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا ، والغضب ، والفرح ، والضحك ، وتسمى (الصفات الاختيارية) .

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله : " وضابطها – أي : الصفات الفعلية - أنها تقيد بالمشيئة ، تقول : يرحم إذا شاء ، ويغضب إذا شاء ، ويكتب إذا شاء ،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بخلاف الصفات الذاتية ، فلا تقول : يقدر إذا شاء ، ويعلم إذا شاء ، بل هو سبحانه عليم وقدير في جميع الأحوال " انتهى[18].

ج - **صفات ذاتية فعلية باعتبارين :** باعتبار أصل الصفة ذاتي ، وباعتبار آحاد الفعل فعلي ، فالكلام – مثلاً – صفة ذاتية باعتبار أصله ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ، أما باعتبار آحاد الكلام ، فهو صفة فعلية ؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته سبحانه[19]

القسم الرابع : باعتبار الجلال والجمال ، وهو نوعان :

أ – **صفات الجمال :** وهي الأسماء والصفات التي هي من تفريعات ربوبية الله على خلقه هذه من قسم الجمال ،وهي التي تبعث في القلب محبة الخالق والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى ، ومن ذلك الرحمن والرحيم والسلام والجميل والمؤمن والودود، ونحو ذلك ، وهي التي تورث حسن التوكل على الله جل وعلا .

ب – **صفات الجلال :** وهي الصفات التي تبعث في القلب مخافة الله جل وعلا وتعظيمه ، ومن ذلك صفة القوة ، والقدرة ، والقهر إلى آخر هذه الصفات والأسماء .

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله : " صفات العَظَمَة هذه يقال لها صفات جلال ، وصفات ونعوت الرحمة والمحبة يقال له صفات جمال ، هذا اصطلاح لبعض علماء السنة وهو اصطلاح صحيح . ولهذا في الختمة التي تُنسبُ لشيخ

18/ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري "

19/ مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين " (1 / 124) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الإسلام ابن تيمية ، رجَّحَ طائفة من أهل العلم أن تكون لشيخ الإسلام لورود هذا التقسيم فيها ، وهو قوله في أولها (صدق الله العظيم المُتَوحّدُ بالجلال لكمال الجمال تعظيما وتكبيرا) .

ولا أعلم من أَشْهَرَ هذا التقسيم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية ، يعني : تقسيم الصفات إلى صفات جلال وجمال " انتهى[20] .

المحور الثاني : كيفية الاستفادة من معرفة صفات الله تعالى :

اعلم أخي القارئ الكريم أن أسماء الله تعالى تتضمن صفات ، فمثلاً الكريم يتضمن صفة الكرم ، والرحمن الرحيم يتضمنان صفة الرحمة ... وهكذا ولهذا نقول : إن ذكر فوائد معرفة الأسماء والصفات متلازمين - كما سترى في كلام أهل العلم – ومن هنا كثر في القرآن الكريم ذكر أسماء الله الحسنى وكان ذلك مقصدا من المقاصد الكلية للقرآن الكريم .

وأما الآن فإليك طرفاً مما يلزم المسلم معرفته في باب الأسماء والصفات مما يزيد في الإيمان والتعلق بالرحمن جل وعلا ، فيؤدي ذلك إلى حسن عبادته واجتناب غضبه سبحانه ، وبيان ذلك من خلال النقل من كلام العلماء[21] في النقاط الآتية :

1/ إن أشرف غايات المسلم، ومنتهى طلبه أن يفوز برضوان الله تعالى وجنته وأن يتنعم بالنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام في الدار الآخرة، ولكن هذه الغاية

8/ شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ – (254/1)

21/ من مقال بعنوان (فوائد التأمل في أسماء الله الحسنى) للشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليّل - موقع ياله من دين – (باختصار وتصرف)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

لن تتحقق إلا بمعرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لله تسعة وتسعون اسماً من حفظها دخل الجنة**)وروى البخاري ومسلم .

2/ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن العلم بأسماء الله الحسنى أصل للعلم بكل معلوم؛ فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له تعالى أو أمرًا. إما علم بملكوته، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضي بمقتضيه، وإحصاء الأسماء الحسنى أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي من مقتضاها، ومرتبطة بها) .

3/ في معرفة الله – عز وجل- بأسمائه وصفاته زيادة في الإيمان واليقين وتحقيق للتوحيد، وتذوق لطعم العبودية.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «إن الإيمان بأسماء الله الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه»

ويقول أيضًا: «وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص. وأقرب طريق إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن»

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (فإن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته وجمع قلبه على محبته، شرح صدره لقبول صفاته العلا، وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول، وتلقَّاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد، فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلأ به

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

سرورًا ومحبة، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تَعرَّف به إليه على لسان رسوله، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء أعظم ما كان إليه فاقة، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأن شرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد. والله يُنْزِلُ العبد من نفسه حيث يُنْزِلُه العبدُ من نفسه)

ويقول في موطن آخر: (والفرح والسرور، وطيب العيش والنعيم؛ إنما هو في معرفة الله وتوحيده، والأُنس به، والشوق إلى لقائه، واجتماع القلب والهمَّة عليه، فإنَّ أنكد العيش: عيشُ من قلبُه مُشتَّتٌ؛ وهمُّه مُفرَّقٌ عن ذلك .

فالعيش الطيِّب؛ والحياة النافعة؛ وقرَّة العين: في السكون والطمأنينة إلى الحبيب الأوَّل، ولو تنقَّل القلب في المحبوبات كلِّها لم يسكن، ولم يطمئن، ولم تقرَّ عينه حتى يطمئن إلى إلهه وربِّه ووليِّه؛ الذي ليس له من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ، ولا غنى له عنه طرفة عين).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

4/ العالم بالله تعالى حقيقة يستدل بما علم من صفاته وأفعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، وأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة. كذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته، وفضله وعدله، فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة ورحمة، وهذا العلم أعظم وأشهر من أن ينبه عليه .

5/ التلازم الوثيق بين صفات الله تعالى وما تقتضيه من العبادات الظاهرة والباطنة وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني: من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح. فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء، والمنع، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة يثمر له: عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا. وعلمه بسمعه تعالى وبصره، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة وأنه يعلم السر، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور يثمر له: حفظ لسانه وجوارحه، وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك: الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح. ومعرفته بغناه وجوده، وكرمه وبره وإحسانه، ورحمته توجب له سعة الرجاء. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له: الخضوع والاستكانة، والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

6/ فهم معاني أسماء الله – عز وجل- وصفاته طريق إلى محبة الله، وتعظيمه ورجائه والخوف منه، وفي ذلك يقول العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: «فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء، والمهابة، والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات»

7/ العلم بأسماء الله – عزل وجل- وصفاته يزرع في القلب الأدب مع الله تعالى والحياء منه . يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا. ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق- علمًا وعملاً وحالاً- والله المستعان.

8/ المعرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته تبصر العبد بنقائص نفسه وعيوبها وآفاتها فتجهد في إصلاحها.

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة... ومنشأ هذه الأربعة من جهله بربه وجهله بنفسه، فإنه لو عرف ربه بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وعرف نفسه بالنقائص والآفات لم يتكبر، ولم يغضب لها، ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله.

فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله، فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، وأحب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته»

9/ ومما يؤكد أهمية دراسة الأسماء والصفات، وأثرها في القلوب والأعمال هو أنه مع ما ذكر من الآثار السابقة، فإن الكتابة فيها لا زالت قليلة لا تكافئ أهميتها ولا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تكفي للعناية بها؛ بل إن العناية بهذا لازالت ضعيفة، وهذا ظاهر من طريق تدريس هذا العلم في كثير من المناهج وحلق العلم، حيث التركيز في دراسة هذا العلم على الجوانب الذهنية المجردة، وتصحيح التصور، والرد على المبتدعة فيه وهذا حق ومطلوب، ولكنه ليس هو المقصود فحسب؛ وإنما المقصود أيضًا من فهم الأسماء والصفات وصحة المعتقد فيها ما يظهر من ثمارها وآثارها في أعمال القلوب والجوارح والتعبد لله تعالى بها. والقليل منا اليوم من يعتني بأعمال القلوب، ويركز عليها، مع أنه باب عظيم لإصلاح القلوب وتخليصها من وساوسها وآفاتها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الثالث

من المقاصد الكلية للقرآن معرفة أفعال الله تعالى

قبل ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي في هذا المقام أقول : لقد تبين مما سبق أن معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته من أجل مقاصد القرآن الكريم ولهذا أنزل الله تعالى في بيانهما عددا من آيات القرآن الكريم .

كما تبين أن لتلك المعرفة الدور الأعظم في توجه البشرية لطاعة الله جل وعلا والخضوع لعظمته .

وفي ذات الدائرة تدور معرفة أفعال الله تعالى إلا أنها أقرب إلى النفس البشرية وأيسر في توصيل الإنسان إلى عظمة الله تعالى لأنها - أي أفعال الله تعالى ماثلة أمام الإنسان وتحت ناظريه بل يلمسها في نفسه ويراها فيمن حوله من المخلوقات ومن هنا جاء ذكرها في القرآن مقصدا من المقاصد الكلية الأساسية من مقاصده ، وأيضا كان عدد الآيات التي أنزلها الله تعالى في هذا الشأن أكثر عددا مما كان قبلها أعني مقصد معرفة الذات الإلهية ومعرفة الصفات .

وقد أشار الغزالي - في النص الآتي بعد قليل - إلى عدد من المخلوقات التي ورد ذكرها في القرآن للفت العقول إلى أن تتأمل فيها للتهتدي بها إلى قدرة الخالق وكمال حكمته وجلال عظمته وجمال صنعته وحسن تدبيره لخليقته .

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى (باختصار) :

وأما الأفعال: فبحرٌ مُتَّسِعَةٌ أَكنافُه، ولا تُنَال بالاستقصاء أطرافُه، لكن القرآن يشتمل على الجليِّ منها الواقع في عالم الشهادة، كَذِكْر السماوات والكواكب،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والأرض والجبال، والشجر والحيوان، والبحار والنبات، وإنزال الماء الفُرات، وسائر أسباب النبات والحياة، وهي التي ظهرت للحِسّ. وأشرفُ أفعاله وأعجَبُها وأدلُّها على جلالة صانعها ما لم يظهر للحِسّ، بل هو من عَالمَ المَلَكُوت، وهي الملائكةُ والرُّوحانِيَّات، والروحُ والقلب أعني العارف بالله تعالى من جملة أجزاء الآدَمِيّ، فإنهما أيضاً من جملة عَالَم الغَيْب والملكوت، وخارجٌ عن عالم المُلْكِ والشهادة، ومنها الملائكة الأرضية المُوَكَّلَة بجنس الإنس، وهي التي سجدت لآدمَ عليه السلام، ومنها الشياطينُ المُسَلَّطة على جنس الإنس، وهي التي امتنعت عن السجود له، ومنها الملائكة السَماوِيَّة، يُسَبِّحون الليلَ والنهارَ لا يفترون.

واعلم أن أكثر أفعال الله وأشرفها لا يعرفها أكثر الخلق، بل إدراكُهم مقصور على عالَم الحِسِّ والتَّخْيِيل، وأنهما النتيجة الأخيرة من نتائج عالَم المَلكوت وهو القشر الأقصَى عن اللُّب الأصفَى، ومَن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الرُّمان إلا قِشرَته، ومن عجائب الإنسان إلا بَشَرَته.

ثم ذكر رحمه الله تعالى - بعد هذا الكلام الماتع الذي يزيد في الإيمان ويرفع الهمة للتقرب إلى الرحمن - عددا من الآيات التي تدعو إلى التأمل في أفعال الله تعالى ، وأنا أجتزئ قليلاً منها وأنت أخي القارئ الكريم تستطيع الوصول إلى مثيلاتها مع محاولة التدبر والرجوع إلى كلام المفسرين :

قوله تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تَجْرِي فِي البحر بِمَا يَنفَعُ الناس وَمَآ أَنزَلَ الله مِنَ السمآء مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرياح والسحاب المسخر بَيْنَ السمآء والأرض لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) البقرة (164)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقوله تعالى : (وَللَّهِ مُلْكُ السماوات والأرض والله على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ فِي خَلْقِ السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيَاتٍ لأُوْلِي الألباب * الذين يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السماوات والأرض رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النار فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) آل عمران (189-192)

وقوله تعالى : (الحمد للَّهِ الذي خَلَقَ السماوات والأرض وَجَعَلَ الظلمات والنور ثْمَّ الذين كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الذي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ثُمَّ قضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ الله فِي السماوات وَفِي الأرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) الأنعام (1-3) .

وقوله تعالى : (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الليل والنهار وَهُوَ السميع العليم * قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السماوات والأرض وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إني أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المشركين * قُلْ إني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الفوز المبين * وَإِن يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ * وَهُوَ القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحكيم الخبير) الأنعام (13-18) .

وقوله تعالى : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأرض وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكتاب مِن شَيْءٍ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) الأنعام(38) .

وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ الله سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ على قُلُوبِكُمْ مَّنْ إله غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِهِ انظر كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيات ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ الله بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القوم الظالمون) الأنعام (46-47).

وقوله تعالى : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البر والبحر وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرض وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ الذي يَتَوَفَّاكُم بالليل وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بالنهار ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ليقضى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ القاهر فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حتى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الموت تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ ردوا إلى الله مَوْلاَهُمُ الحق أَلاَ لَهُ الحكم وَهُوَ أَسْرَعُ الحاسبين * قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ مِّن ظُلُمَاتِ البر والبحر تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هذه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكرين *قُلِ الله يُنَجِّيكُمْمِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ القادر على أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظر كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيات لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) الأنعام (59-65).

وأختم الكلام على هذا المقصد من مقاصد القرآن الكريم ببيان أن أفعال الله تعالى مبنية الحكمة إذ يسحيل العبث في حقه تعالى ،وعلى هذا جمهور المسلمين من السلف والخلف أن الله تعالى يخلق لحكمة، ويأمر لحكمة، وهذا مذهب أئمة الفقه والعلم كما قاله ابن تيمية رحمه الله تعالى [22]

ويقول العلامة ابن القيم : (القرآن وسنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مملوءان من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح وتعليل الخلق بهما والتنبيه على وجوه

22/ مجموع الفتاوى – لابن تيمية (38/8)و(89/8) ومنهاج السنة – لابن تيمية – (455/1) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام ولأجلها خلق تلك الأعيان ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة)[23]

وقال رحمه الله أيضاً : (فإن ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والأمر والغايات الحميدة أمر تشهد به الفطرة والعقول ولا ينكره سليم الفطرة وهم -يعني النفاة- لا ينكرون ذلك وإنما يقولون: وقع بطريق الاتفاق لا بالقصد كما تسقط خشبة عظيمة فيتفق عبور حيوان مؤذ تحتها فتهلكه، ولا ريب أن هذا ينفي حمد الرب سبحانه على حصول هذه المنافع والحكم لأنها لم تحصل بقصده وإرادته بل بطريق الاتفاق الذي لا يحمد عليه صاحبه ولا يثنى عليه بل هو عندهم بمثابة ما لو رمى رجل درهماً لا لغرض ولا لفائدة بل لمجرد قدرته ومشيئته على طرحه فاتفق أن وقع في يد محتاج انتفع به فهذا من شأن الحكم والمصالح عند المنكرين)[24]

ومما ورد من الأدلة في القرآن :

قوله تعالى :**(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاًوَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)** المؤمنون:115).

وقال عز من قائل: **(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ)** الدخان:(38).

وقال سبحانه: **(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)** سورة ص(27). وقال سبحانه: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ**

23/ مفتاح دار السعادة – لابن القيم - ص (408) .

24/ شفاء العليل - لابن القيم - ص(420)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) الذاريات(56) .وقال سبحانه : **(رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل)** إلى غير ذلك من الآيات التي تنفي العبث عن فعله وتصرح بإقترانه بالحكمة والغرض. و قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة): (مذهب أهل السنة والجماعة أن أفعال الله تعالى لا تقاس بأفعال عباده، ولا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة، بل أفعاله لا تشبه أفعال خلقه، ولا صفاته صفاتهم، ولا ذاته ذواتهم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) اهـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثاني

من المقاصد الكلية للقرآن معرفة طريق السلوك إلى الله تعالى

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا .

المبحث الأول : بيان حقيقة الصراط المستقيم .

المبحث الثاني : بيان تزكية النفس بالسير على الصراط المستقيم .

المبحث الثالث : بيان العوائق التي تمنع السير على الصراط المستقيم .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا

قال رحمه الله تعالى:

القسم الثاني - من المقاصد المهمة - في تعريف طريق السلوك إلى الله تعالى :

وذلك بِالتَّبَتُّل كما قال الله تعالى {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} أي انقَطِعْ إليه، والانْقِطاع إليه يكون بالإقبال عليه، والاعراضِ عن غيره، وتَرجمَتُهُ قوله { لاَ إله إِلاَّ هُوَ فاتخذه وَكِيلاً } . والإقبالُ عليه إنما يكون بملازمة الذِّكر، والإِعراضُ عن غيره يكون بمخالفة الهَوَى والتَّنَقّي عن كدورات الدنيا وتزكيةِ القلب عنها، والفلاحُ نتيجتها كما قال الله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَن تزكى وَذَكَرَ اسم رَبِّهِ فصلى} .

فعُمدَةُ الطريق أمران: الملازمة، والمخالفة؛ الملازمة لِذِكْرِ الله تعالى، والمخالفة لما يشغل عن الله، وهذا هو السفرُ إلى الله، وليس في هذا السفر حركة، لا من جانب المُسافِر، ولا من جانب المُسافَرِ إليه، فإنهما معاً، أَوَمَا سمعتَ قوله تعالى وهو أصدق القائلين {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوريد} ؟

ومعرفة السلوك والوصول أيضاً بحر عميق من بحار القرآن، وسنجمع لك الآيات المرشدةَ إلى طريق السلوك، لِتَتَفَكَّرَ فيها جملةً، فَعَساك ينفتح لك ما ينبغي أن ينفتح، فهذا القسم هو الدُرُّ الأَزهر.

ثم ذكر سَبْعُمِائَةٍ وإحدى وأربعينَ آية ، تحت عنوان (في دُرَرِ القُرآن) وهي في مجملها تتحدث عن التكاليف الشرعية وتزكية النفس وطهارة القلب وحسن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وحسن التعامل مع الناس .

فمن الأمثلة على ما سرده من آيات قوله :

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

من سورة البقرة ستٌّ وأربعون آية:

قولُهُ تعالى: {بسم الله الرحمن الرَّحِيمِ. الم * ذَلِكَ الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب وَيُقِيمُونَ الصلاة وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * والذين يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وبالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ * أولئك على هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وأولائك هُمُ المفلحون} .وقولُهُ: {يَاأَيُّهَا الناس اعبدوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ والذين مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} .

وقولُهُ: {يا أيها الناس كُلُواْ مِمَّا فِي الأرض حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشيطان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بالسواء والفحشآء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وقولُهُ: {لَّيْسَ البر أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المشرق والمغرب ولاكن البر مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وَآتَى المال على حُبِّهِ ذَوِي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وَفِي الرقاب وَأَقَامَ الصلاة وَآتَى الزكاة والموفون بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ والصابرين فِي البأسآء والضراء وَحِينَ البأس أولئك الذين صَدَقُواْ وأولئك هُمُ المتقون} .

وقولُهُ: {واتقوا الله واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين * وَأَنْفِقُواْ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة وأحسنوا إِنَّ الله يُحِبُّ المحسنين} .

ولتوضيح ما في هذا الفصل قمت بتقسيم كلامه - رحمه الله تعالى - السابق إلى المباحث المكتوبة تحت عنوان الفصل ، إذ لا بد من معرفة حقيقة الصراط المستقيم ، وكيفية تطبيق ذلك عن طريق تزكية النفس ثم لا بد من مواجهة عوائق تعوق السائر إلى الله تعالى أثناء سيره فاحتجت إلى بيان تلك العوائق .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

بيان حقيقة الصراط المستقيم

بعد أوضح الغزالي رحمه الله - في الفصل الأول - أن أعظم مقاصد القرآن هو التعريف بالمدعو إليه وهو الله تعالى ، شرع رحمه الله في بيان أن من المقاصد الكلية المهمة أيضا بيان الصرط المستقيم الموصل إليه سبحانه حيث قال **(وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه)** ثم شرحه بقوله : **(وذلك بِالتَّبَتُّل كما قال الله تعالى {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} أي انقَطِعْ إليه)** ... الخ .– كما تم إثباته في التمهيد – فأقول ومن الله أرجو العون والقبول :

لما كان توضيح الصراط المستقيم وبيانه مقصداً من المقاصد الكبرى للقرآن الكريم كثر تكراره في القرآن فقد وردت كلمة صراط في القران (45) مرة وارتبط منها (33) مرة بكلمة مستقيم كما ورد ذكره في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن تلكم الآيات :

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الفاتحة (6) **(وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)**الصافات (١١٨) (**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**) الأعراف (16) (**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**) الإسراء (35)

ولعظمة الصراط المستقيم : أضافه الله تعالى إلى نفسه فقال (**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ)** الأنعام (153) كما أخبر تعالى أنه الهادي إليه فقال تعالى (**وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)** النساء(68) كما بين أن عبادته التي هي أشرف عمل

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

يقوم به الإنسان هي الصراط المستقيم فقال :(**وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**) يس (61)

ولأهمية معرفته : افتتح الله تعالى به كتابه فقال تعالى في سورة الفاتحة **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** الفاتحة (6)

ولو ذهبنا نتتبع ألايات التي تعظم من شأنه لطال بنا المقام ولكننا معنيون في هذا المقام ببيان حقيقته في ضوء الكتاب والسنة ،فأقول ومن الله أرجو القبول :

قال ابن جرير الطبري رحمه - عند تفسير (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) - : (أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم ، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. قال: ثم تستعير العرب (الصراط) فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه) اهـ

وقد فُسِّر الصراط المستقيم بالقرآن الكريم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال، وذكر القرآن فقال: [هذا الصراط المستقيم] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **(أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِى غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِى لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِى لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِى إِلَى**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الرُّشْدِ)الجن: ١ . 2)). مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] [25]

فالصراط المستقيم : كما قال ابن القيم رحمة الله عليه: (ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً؛ فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً لهم إليه ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله وجعله موصلاً لعبادة الله، وهو إفراده بالعبادة، وإفراد رسله بالطاعة، فلا يشرك به أحد في عبادته، ولا يشرك برسوله صلى الله عليه وسلم أحد في طاعته، فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأي شيء فسر به الصراط المستقيم فهو داخل في هذين الأصلين". "ونكتة ذلك أن تحبه بقلبك وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معموراً بحبه، ولا يكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته، فالأول يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، والثاني يحصل بتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به، وهو معرفة ما بعث الله به رسوله والقيام به، وقل ما شئت من العبارات التي هذا آخيتها وقطب رحاها". قال: وقال سهل بن عبد الله: "عليكم بالأثر والسنة، فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر إنسان النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه وأذلوه وأهانوه" انتهى.

25/ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، 5 / 172، حديث رقم:2906.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والصراط المستقيم : كما قال الغزالي رحمه الله تعالى **(وذلك بِالتَّبَتُّل كما قال الله تعالى {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} أي انقَطِعْ إليه، والانْقِطاع إليه يكون بالإقبال عليه، والاعراضِ عن غيره، وتَرجمَتُهُ قوله { لاَ إله إِلاَّ هُوَ فاتخذه وَكِيلاً } .والإقبالُ عليه إنما يكون بملازمة الذِّكر، والإِعراضُ عن غيره يكون بمخالفة الهَوَى والتَّنَقِّي عن كدورات الدنيا وتزكيةِ القلب عنها، والفلاحُ نتيجتها كما قال الله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَن تزكى وَذَكَرَ اسم رَبِّهِ فصلى})** وقد سبق ذكره في تمهيد هذا الفصل

والصراط المستقيم : يرجوه كل مسلم يسأل الله في كل صلواته الفريضة والنافله أن يرزقه إياه قائلاً: (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) [الفاتحة:6]. ثم بيّن سبحانه وتعالى وصف هذا الصراط في الآية التي تليها: (**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**) [الفاتحة:7].

حتى يعلم أن الصراط المستقيم إنما هو سبيل المؤمنين وليس سبيل المغضوب عليهم ولا هو سبيل الضالين. بل وهناك من الملاحظات الهامة في هذا السياق أن يضاف الصراط تارة إلى الله وتارة إلى العباد ويذكر مفرداً معرفاً باللام تارة وبالإضافة تارة فقال: "أما إضافته إلى الله فلأنه هو الذي شرعه ونصبه، وأما إضافته إلى العباد فلأنهم أهل سلوكه، وأما ذكره مفرداً معرفاً باللام تارة وبالإضافة تارة فلإفادة تعيينه واختصاصه وأنه صراط واحد بخلاف طرق أهل الضلال".

ولكون الصراط المستقيم : وصيّة الله إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام حيث قال سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الزخرف:43]، ووصية الله إلى الناس باتباع هذا الصراط

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المستقيم: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام:153].

وهنا تجدر الإشارة إلى ما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه في توضيح وصية النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: **{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}** [الأنعام:151]، إلى قوله: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}** [الأنعام:153] الآية". يعني: هذه الثلاث الآيات التي ذكرت من آخر سورة الأنعام.[26]

إذن الصراط المستقيم - على ضوء ما سبق - هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهو يشمل الإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمر الله به، والانزجار عما زجر عنه، والتحلي بمكارم الأخلاق، وإتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكل عبد صالح وهو صراط من أنعم الله عليهم بطاعته وعبادته من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.[27]

26/ موقع طريق الإسلام .

27/ من مقال بعنوان (حقيقة الصراط المستقيم في القرآن والسنة) – موقع الأترجة الإسلامي .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وأما بيان الصراط المستقيم في السنة النبوية المطهرة : فعن عدي بن حاتم – صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال)[28]

وقد جاء الصراط المستقيم بالإفراد (صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) وهو سبيل الله ، وجمع السبل (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) المخالفة له؛ لأن الحق واحد والباطل ما خالفه وهو كثير فيشمل الأديان الباطلة، من مخترعة وسماوية محرفة ومنسوخة والبدع والشبهات والمعاصي.

وسبيل الله واضح كالصبح ظاهر كالنور بيّن الاستقامة لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، وقد أمرنا باتباعه وحده ونهينا عن إتباع تلك السبل والسبل الأخرى المخالفة له، إيثاراً للاستقامة على الاعوجاج ، وترجيحاً للهدى على الضلال، وحتى لا نتفرق عن صراط الله المستقيم الذي ارتضاه لعباده، فعن عبد الله بن مسعود -قال:(خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: (هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمنيه وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه، ثم قرأ {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}]،(الأنعام: 153).

28/ أخرجه الترمذي وصححه الألباني .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الثاني

بيان تزكية النفس بالسير على الصراط المستقيم

مما هو معلوم أن العلم بالصراط المستقيم لا يكفي لنجاة العبد حتى يعمل به ويجعله واقعاً مطبقاً في حياته ، ومن هنا جعل الغزالي رحمه الله تعالى تزكية النفس مقصدا من مقاصد القرآن الكريم الكلية ، وكما أشار إلى أن الآيات في ذلك كثيرة جدا يصعب إحصاؤها ، ومن هنا كان لا بد من إنشاء مبحث خاص لبيان بعض ما يتعلق بتزكية النفس ، وذلك من خلال النقاط الآتية :

أولاً : تعريف التزكية وبيان المراد بها :

التزكية في اللغة: مصدر: زكّى يزكي زكاة وهو الطهارة قال تعالى : "قد أفلح من زكاها".

أو هي مصدر: زكي يزكو زكاء وزكاة، وهو الزيادة والنماء. ومنه قول سيدنا علي: "والعلم يزكو بالإنفاق" أي يزيد

والتربية هي رعاية المربى والقيام عليه حتى يبلغ الكمال. ومنه قوله تعالى "الحمد لله رب العالمين" .. أي الذي يربيهم بنعمه، ويحوطهم برعايته، ويطعمهم ويكسوهم.

وأما في الاصطلاح: فالتزكية - كما يقول الغزالي - هي تكميل النفس الإنسانية بقمع أهوائها وإطلاق خصائصها العليا.

وعلى هذا المعنى جاءت الآيات القرآنية بالأمر بتزكية النفس وتهذيبها، قال الله تعالى : **(قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى)**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقال سبحانه (**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**)يقول ابن كثير رحمه الله في هذه الآيات : يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة، وطهرها من الرذائل والأخلاق الدنيئة، كقوله تعالى: (قد أفلح من تزكى) .

(وقد خاب من دساها) أي دسسها وأخملها ووضع منها بخذلانه إيّاها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل، ويحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه هذا عن تعريف التزكية .

ثانياً : حقيقة النفس : لقد ورد في القرآن الكريم وصفها بثلاث صفات : المطمئنة، واللوامة، والأمارة بالسوء، وقد اختلف الناس هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها، أو للعبد ثلاثة أنفس : نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة.

فالأول قول الفقهاء والمتكلمين وجمهور المفسرين، وهو قول المحققين من علماء التزكية، .

فالنفس المطمئنة : هي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره، فاطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى ضمانه وكفايته وحسبه، وأنه لا غنى لها عنه طرفة عين.

وأما اللوامة: (فهي النفس اللؤوم التي تُنَدِّم على ما فات وتلوم عليه) كما قال ابن عباس وقتادة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وأما الأمارة: فهي التي تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل؛ فإن أطاعها قادته إلى كل شر وقبيح، ولم تكن أمارة إلا بموجب الجهل والظلم لأنها خلقت في الأصل جاهلة ظالمة والعدل والعلم طارئ عليها بِإِلْهَامِ فاطرها.

فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحدة، فإذا أراد الله بنفس خيراً جعل فيها ما تزكو به وتصلح من الإرادات والتصورات وإذا لم يرد بها ذلك تركها على حالتها التي خلقت عليها من الجهل والظلم[29].

ثالثاً : أهمية تزكية النفس للإنسان[30]: والتزكية مهمة للإنسان من عدة أوجه :

1 – أن الله عز وجل - وهو الحق وقوله الصدق - أقسم في كتابه أحد عشر قسماً على فلاح من زكى نفسه وعلى خسران من أهمل ذلك، قال تعالى: "**والشمس وضحاها**.." إلى قوله تعالى (**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسَّاها**) .

2 – أن النفس من أشد أعداء الإنسان الداخليين لأنها تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانبها، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من شرها كثيراً، كما في خطبة الحاجة وكما في حديث أبي هريرة عند ابن أبي حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (**فألهمها فجورها وتقواها**) فقال: (**اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها**) وفي المسند والترمذي أنه صلى الله عليه وسلم علم حصين بن عبيد أن يقول "**اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**".

29/ إغاثة اللهفان لابن القيم (1/75-78)

30/ من مقال بعنوان (تزكية النفس) للأستاذ سيد محمد بن جدو – موقع صيد الفوائد .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وكان من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم في افتتاح الصلاة (**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**) أخرجه أحمد ومسلم،

وقال الغزالي :(يروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام - بعد أن أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه : " سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم له" ،إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيداً وذلك جزاء المفسدين، وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكاً. فقال يوسف - كما أخبر الله تعالى عنه **(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)**.

وقال ابن القيم رحمه الله : وقد اتفق السالكون على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها والظفر بها [31].

قال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم.[32]. المرجع السابق.

3 – أن التزكية طريق الجنة، قال الله تعالى: "وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى" فهي إذن شرط لدخول الجنة.

4 – أن الإنسان محب للكمال فينبغي له أن يعمل على إكمال نفسه بتزكيتها وتربيتها، فهذه النفس تصاب بالأعراض التي تصاب بها الأبدان، فهي محتاجة إلى

31/ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (75/2) .

32/ المرجع السابق .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تغذية دائمة ومحتاجة إلى رعاية، ومحتاجة كذلك إلى متابعة للازدياد من الخير كما يزداد البدن من الطاقات والمعارف، فلذلك احتاج الإنسان إلى أن يراقب تطورات نفسه، ويعلم أنها وعاء إيمانه، وأهم ما عنده هو هذا الإيمان، فإذا سلبه فلا فائدة في حياته، فلا بد من العمل على تنمية هذا الإيمان وزيادته عن طريق تزكية هذه النفس وتهذيبها.

يقول أحد الباحثين : إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد مزدوج الاتجاه، بمعنى أنه في طبيعة تكوينه : من طين الأرض، ومن نفخة الله فيه من روحه، وهو لذلك مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى أيهما أراد، وهذه قدرة كامنة في كيانه يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة "**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**..." ويعبر عنها بالهداية تارة (**وهديناه النجدين**) وإلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان هي التي تناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعدادات الخير فيها وتغليبها على استعدادات الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها".

رابعاً : حكم تزكية النفس [33]:

للعلماء فيه قولان :

33/ مجتزأ من مقال بعنوان (تزكية النفس.. معناها، حكمها، الحاجة إليها) – الشبكة الإسلامية – ركن المقالات و(تزكية النفس) للأستاذ سيد محمد بن جدو – موقع صيد الفوائد .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

القول الأول : ذهب الغزالي رحمه الله إلى أنها فرض عين على كل مؤمن ولو لم يكن متحلياً بالأخلاق الذميمة، فيلزم كل أحد أن يتعلم أمراض القلب وكيفية تطهيرها.

وقد استند الغزالي في رأيه هذا إلى أن الأصل عنده في الإنسان هو وجود هذه الأمراض وليس السلامة منها، واستدل على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل البشر قد شق الله صدره مرتين وأخرج منه المضغة السوداء التي هي محل هذه الأمراض في الإنسان، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم احتاج إلى ذلك فغيره من باب أولى .

القول الثاني : ذهب الجمهور إلى أنه ليس فرض عين إلا في حق من تحقق أو ظن وجود مرض من الأمراض فيه، فيلزمه حينئذ تعلم سبل علاج ذلك المرض، وقالوا إن تعلم أمراض القلوب فرض كفاية على الأمة عامة وليس فرض عين على كل أحد، واستدلوا على ذلك بأن الأصل في الإنسان السلامة من هذه الأمراض لقول الله تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة). وأدلة الجمهور أوجه وأقوى كما ترى.

والجمع بين القولين [34]: أن غالب النفوس ، ولو قلنا بأن الأصل فيها السلامة، إلا إنها قابلة للشهوات، مائلة إلى الملذات، نافرة عن الطاعات، مقبلة على الغفلات.. والمسلم مطالب بالبحث عن سلامة نفسه من كل هذا فلزمه أن يعمل على تزكيتها وتطهيرها .

34/ السابق .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والذي يعيد النظر في أسباب التزكية والتربية يكاد لا يتردد في أن الحاجة إليها ربما تصل إلى حكم الواجب العيني وهو ما قال به بعض العلماء موافقة للغزالي .

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: "المؤمن العاقل لا يترك لجامها ولا يهمل مقودها، بل يرخي لها في وقت والزمام بيده فما دامت على الجادة فلا يضايقها بالتضييق عليها، فإذا رآها مالت ردها بلطف، فإن ونت وأبت فبالعنف".

وقال أبو يزيد: ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك.

خامساً : كيفية تزكية النفس:

الكلام على هذه القضية ألفت فيه المؤلفات وكثرت فيه المقالات ولكن لما كان الغزالي هو الرائد في هذا الباب أحببت أن أنقل كلامه لعل الله أن ينفع به .

قال رحمه الله تعالى[35]: - تحت عنوان : **بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة :** قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة. وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضاً. وهذا الاعتدال يحصل على وجهين:

أحدهما: بجود إلهي وكمال فطري :

بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالماً بغير تعليم ومؤدباً بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر

35/ إحياء علوم الدين – ربع المهلكات – كتاب رياضة النفس (باختصار) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. ولا بد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخياً جرياً، وربما يخلق بخلافه، فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم.

والوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة :

وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً .

وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه.

وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة. وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها، كما قال صلى الله عليه وسلم **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به. نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى (**وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**) وقال صلى الله عليه وسلم **(اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير)**- أخرجه الطبراني.

ثم لا يكون في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر.

وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة ارسخ وأكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال، طول العمر في طاعة الله تعالى ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة. وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ.

وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب، وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات. وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى، وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل، ثم يكون بعد ذلك فرحاً به مستلذاً له.

ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرة العين. ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك؛ فإنا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة، ونرى المقامر قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار، مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به، وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة.

وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائماً على رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء، بل نرى الفاجر العيار يفتخر بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك، حتى يرى ذلك فخراً لنفسه، ويقطع الواحد منهم إرباً إرباً على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحاً بما يعتقده كمالاً وشجاعة ورجولية، فقد صارت أحوالها مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره.

فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف.

فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى المقابح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة.

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني، وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه، وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها، فكل قلب مال إلى حب

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله، إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه، فعند ذلك لا يدل على ذلك المرض .

فإذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء. وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح - أعني النفس والبدن- فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والأمر فيه دور، ويعرف ذلك بمثال: وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية -حتى يصير كاتباً بالطبع - فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هوالخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً، فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً، ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع .

كذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء، وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس. وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له، فلا علاج له إلا ذلك .

فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً. فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة، ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صورته وحالته (**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذر شراً يره) (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).**

سابعاً : ذكر بعض ثمار تزكية النفس :

1/ الوصول إلى درجة الأنس بالله تعالى : قال ابن القيم[36] رحمه الله : (لو فرضت لذات أهل الدنيا بأجمعها حاصلة لرجل لم يكن لها نسبة إلى لذة جمعية قلبه على الله وفرحه به وأنسه بقربه وشوقه إلى لقائه وهذا أمر لا يصدق به إلا من ذاقه, فإنما يصدقك من أشرق فيه ما أشرق فيك ولله در القائل:

أيا صاحبي ما ترى نارهم فقال تريني ما لا أرى

سقاك الغرام ولم يسقني فأبصرتَ ما لم أكن مبصرا

2/ أن يفتح الله تعالى عليه بعلوم لا تخطر له على بال :

قال الإمام الغزالي: (المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب وتنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب, وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك, بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة

36/ مدارج السالكين (163/3)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه, فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف, فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب)[37]اهـ

ثم قال رحمه الله : (وكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب)[38]اه

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله : (وأما العلم اللدني فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين - بسبب طهارة قلوبهم عما يكرهه واتباعهم ما يحبه - ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال علي: (إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه) وفى الأثر: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع)[39]اه ثم ذكر الآيات الدال على ذلك

37/ إحياء علوم الدين (138/1)

38/ السابق .

39/ مجموع الفتاوى (245/13)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الثالث

بيان العوائق التي تمنع السير على الصراط المستقيم

لما كانت النفس البشرية تميل إلى العناد والمخالفة في غالب أحوالها كما بين تعالى (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) سورة يوسف (53)

قال السعدي " أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائرالذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان "

ولهذا كانت في حاجة إلى مجاهدة وترويض كما قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) العنكبوت (69) حتى تسير على الهدى المستقيم ، لتصل إلى (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) . فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاصية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده.

ومن هنا كان من المقاصد الكلية للقرآن ذكر ما يتعلق بعوائق السير إلى الله تعالى وكيف يجاهد الإنسان نفسه وذلك في عدد غير قليل من آيات القرآن الكريم .

ولما كان الغزالي رائدًا في هذا العلم وأصبح مرجعا لكل متكلم في تزكية النفس أحببت أن أنقل كلامه ثم اذكر كلام غيره ، قال رحمه الله تعالى :

قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب. وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فلا يدرك إلا بما قدمناه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة، فيكون مقتصراً من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة، فإنه مَن تمتع بشيء منه أنس به وألفه، فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال، ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولاً بمعرفة الله وحبه والتفكير فيه والانقطاع إليه، ولا قوة على ذلك إلا بالله، ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط. فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه .

والناس فيه أربعة:

الأول : رجل مستغرق قلبه بذكر الله : فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين. ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة.

الثاني : **رجل استغرقت الدنيا قلبه** : ولم يَبق لله تعالى ذكرٌ في قلبه إلا من حيث حديث النفس، حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين.

الثالث : **رجل اشتغل بالدنيا والدين** : ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه.

الرابع : رجل اشتغل بهما جميعاً لكن الدنيا : أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محال لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده، وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه. اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فإنك أنت المعاذ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل؟ وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة. والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضاً من الدنيا وهو سبب البعد .

فإذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح، فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت؛ إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين، حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة.

ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل، وكذلك سائر الشهوات، لأن الذي يشتهى به الحلال هو بعينه الذي يشتهي الحرام، فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يعودها الاقتصاد على قدر الضرورة من الشهوات غلبته. فهذه إحدى المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه، وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطراً حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره. وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة، وهذا هو موت القلب.

قال الله تعالى (**ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوابها**)وقال تعالى (**وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع**) وقال تعالى (**اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد**) وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر، وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر.

فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر، ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها - حلالها وحرامهاوعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب، فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب. فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته. وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش إلى الانقياد والتأديب؛ فإنه يحبس أولاً في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء، وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال، ثم يرفق باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفاً إذا دعاه أجابه، ومهما سمع صوته رجع إليه.

فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولاً ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات، ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانياً في الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضاً عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم ينعم به في النهاية، كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام، ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبن، ولكنه إذا منع اللبن رأساً يوماً فيوماً وعظم تعبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الطعام تكلفاً، ثم يصير له طبعاً. فلو رد بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه، فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام.

وتأديب النفس يكون بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت، إذ قيل له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه. فإذا علم أنه من أحب شيئاً يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى، فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه. وكل ذلك يتم بالصبر أولاً أياماً قلائل فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة. وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال سفر وتعلم صناعة وغيرها شهراً ليتنعم به سنة أو دهراً. وكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا. فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله علي رضي الله عنه.

وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله :

والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والإفادة فينبغي أن يترك أولاً ما به فرحه، فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها، وذلك مهلك في حقه. ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر، فإن لكل وسوسة سبباً ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة. وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت.[40]

قلت : وهذا الذي وضعه الغزالي كخط يجب التزامه في مجاهدة النفس قد ورد عن كثير من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين وغيرهم ، وها أنا أنقل لك كلام بعضهم[41] :

- قال عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ (الحاقة/ 18))

- عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: سمعت عمر بن الخطّاب- وخرجت معه، حتّى إذا دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط-: «عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين بخ بخ. والله يا ابن الخطّاب لتتّقينّ الله، أو ليعذبنّك»

- وسأل أحدهم عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- عن الجهاد، فقال له: «ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها)

- **وقال سفيان الثّوريّ رحمه الله** : "ما عالجت شيئا أشدّ عليّ من نفسي، مرّة لي ومرّة عليّ "

40/ إحياء علوم الدين - كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب .

41/ موقع منارة الإسلام .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

جاهد نفسك بأسياف الرّياضة. والرّياضة على أربعة أوجه: القوت من الطّعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام، فيتولّد من قلّة الطّعام موت الشّهوات، ومن قلّة المنام صفو الإرادات، ومن قلّة الكلام السّلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات.

- **وقال يحيى بن معاذ الرّازيّ رحمه الله ::** " وليس على العبد شيء أشدّ من الحلم عند الجفاء، والصّبر على الأذى، وإذا تحرّكت من النّفس إرادة الشّهوات والآثام، وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جرّدت سيوف قلّة الطّعام من غمد التّهجّد وقلّة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلّة الكلام، حتّى تنقطع عن الظّلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام، وتصفّيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها، فتصير عند ذلك نظيفة ونوريّة خفيفة روحانيّة، فتجول في ميدان الخيرات، وتسير في مسالك الطّاعات، كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزّه في البستان "

وأختم بكلام مهم للعلامة ابن القيم حيث يقول رحمه الله تعالى: جهاد النّفس على أربع مراتب:

الأولى: مجاهدتها على تعلّم الهدى ودين الحقّ.

الثّانية: مجاهدتها على العمل به (أي بالهدى ودين الحقّ) بعد علمه.

الثّالثة: مجاهدتها على الدّعوة إلى الحقّ.

الرّابعة: مجاهدتها على الصّبر على مشاقّ الدّعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمّل ذلك كلّه لله.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ثمّ قال- رحمه الله- عقب ذلك: فإذا استكمل (المسلم) هذه المراتب الأربع صار من الرّبّانيّين، فإنّ السّلف مجمعون على أنّ العالم لا يستحقّ أن يسمّى ربّانيّا حتّى يعرف الحقّ ويعمل به ويعلّمه، فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السّموات "

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثالث

بيان المقصد الثالث وهو تعريف الحال عند ميعاد الوِصَال (الآخرة)

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا .

المبحث الأول : بيان الجزاء الأخروي لأهل الإيمان والعمل الصلاح .

المبحث الثاني : بيان الجزاء الأخروي لأهل الكفر والجحود والعصيان .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

تمهيد :ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى :

القسم الثالث : في تعريف الحال عند ميعاد الوِصَال :

وهو يشتمل على ذِكر الرَّوْحِ والنعيم الذي يلقاه الواصِلون، والعبارة الجامعة لأنواع رَوْحِها الجنة، وأعلاها لذةُ النظر إلى الله تعالى، ويشتمل [أيضاً] على ذكر الخِزْيِ والعذاب الذي يلقاه المَحْجوبونَ عنه بإهمال السلوك، والعبارة الجامعة لأصناف آلامِها الجَحيم، وأشدُّها ألماً أَلمُ الحجاب والإبعاد، أعاذَنا الله منه، ولذلك قَدَّمه في قَوله تعالى (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الجحيم) . وَيشتمل أيضاً على ذكر مقدمات أحوال الفريقين وعنها يعبر بالحَشر والنَّشر والحساب والميزان والصِّراط، ولها ظواهر جليَّة تجري مجرى الغذاء لعموم الخلق، ولها أسرارٌ غامضة تجري مجرى الحياة لخصوص الخَلق، وتُلُثُ آيات القرآن وسُوَرِه يرجع إلى تفصيل ذلك، ولَسْنا نَهُمُّ بجمعها فهي أكثر من أن تُلْتَقط وتُحْصَى، ولكن للفكر فيه مجال وبحث، وهذا القسم هو الزُّمُرُّدُ الأخضر.

قلت : وواضح من كلامه رحمه الله أنه يريد الحديث عما يلقاه الصالحون من حسن الجزاء في الجنة ، وعما يلقاه الكفرة والعصاة من العذاب والنكال في النار.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

بيان الجزاء الأخروي لأهل الإيمان والعمل الصلاح

بعد أن بين الغزالي رحمه الله تعالى ما يجب على المكلفين من القيام بطاعة الله تعالى وأن ذلك هو سلوك الصراط المستقيم الموصل إليه تعالى ، كان لا بد من بيان حالهم - المكلفين - في الدار الآخرة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء فبدأ بذكر حال السعداء فقال **(في تعريف الحال عند ميعاد الوِصَال : وهو يشتمل على ذِكر الرَّوْحِ والنعيم الذي يلقاه الواصِلون، والعبارة الجامعة لأنواع رَوْحِها الجنة، وأعلاها لذةُ النظر إلى الله تعالى)** .. الخ ولتوضيح هذا الكلام أقول مستعينا بالله تعالى :

مما لا شك فيه أن المؤمن القائم على طاعة ربه الحريص على مرضاته يتطلع إلى معرفة ما له عند ربه من حسن المثوبة والجزاء ، ولهذا كان بيان هذا الجزاء من مقاصد القرآن المهمة، كما بينه الغزالي رحمه الله تعالى.

هذا من ناحية ، وناحية أخرى ينبغي أن نلفت الانتباه إليها ألا وهي أن من أساليب القرآن العظيمة الترغيب في العمل الصالح بذكر حسن الجزاء مما تشتهيه الأنفس .

ومن هنا تكرر ذكر الجنة في آيات كثيرة حتى زاد عددها على المائتي مرة ، منها الآيات التالية :

(ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) سورة الأعراف (٤٩)

(وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) الأعراف (50)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) التوبة (111)

(أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يونس(26)

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ)هود(23)

(وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا)هود (108) .

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)الرعد (35)

وإنما كان ذلك كذلك لما في ذكرها من رفع الهمم وإخلاص العمل وعدم الالفات إلى ما يصيب المؤمن من الهم والحزن .

تأمل قوله تعالى : (أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) القصص (61) .

فالآية تدعو كل عاقل إلى التأمل في عاقبة كلٍّ من الفريقين - أهل الطاعة وأهل المعصية - وما لكل منهما في الآخرة من الجزاء على ما قدمه من عمل .

جاء في تفسيرها : نفى- سبحانه- التسوية بين أهل الجنة وأهل النار بأبلغ أسلوب فقال: أَفَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ، كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا.

فالاستفهام للإنكار ونفى المساواة بين الفريقين، والمراد بالوعد: الموعود به وهو الجنة ونعيمها. أى: إنه لا يستوي في عرف أى عاقل، حال المؤمنين الذين وعدناهم وعدا حسنا بالجنة ونعيمها، وهم سيظفرون بما وعدناهم به لا محالة، وحال أولئك الكافرين والفاسقين الذين متعناهم إلى حين بمتاع الدنيا الزائلة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

و يقول السعدي :(أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته وجانب سخطه، (**كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأسا، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

(**ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**) للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار).

وصف الجنة : قال الغزالي رحمه الله تعالى :

"اعلم أن تلك الدار - الدنيا - التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى. فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة فى الأخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم، واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان ، وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان ، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شَكِلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين.

ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهيت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا فى أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران .

ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب وأى أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمى. فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحاكي ضياء وجهه الشمس فى إشراقها .ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان) . إحياء علوم الدين – الجزء الرابع .

من نعيم أهل الجنة رؤية الله تعالى :

اعتقاد أهل السنة والجماعة على أن المؤمنين سيخصهم في الجنة بأعظم نعمة أنعم عليهم بها ؛ ألا وهي تشريفهم وإكرامهم بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن ،وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة .

أما في القرآن الكريم :

قال تعالى: (**وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة**) القيامة(22-23)أي أن وجوه المؤمنين تكون حسنة بهية مشرقة مسرورة بسب نظرها إلى وجه ربها كما قال الحسن رحمه الله : " نظرت إلى ربها فنضرت بنوره ".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "(وجوه يومئذ ناضرة) قال : من النعيم (إلى ربها ناظرة) قال تنظر إلى وجه ربها نظراً . وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث.

وقال جل شأنه : (**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**) ق/35 فالمزيد هنا هو:" النظر إلى وجه الله عز وجل . " كما فسره بذلك علي و أنس بن مالك رضي الله عنهما .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقال سبحانه : (**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**) يونس/26 فالحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم ، كما فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه مسلم في صحيحه (266) عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وهي الزيادة ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**) .

فإذا علمت أن أهل الجنة لا يعطون شيئاً فيها أحب إليهم من النظر إلى وجه ربهم جل وعلا تبين لك مدى الحرمان ، وعظيم الخسران ، الذي ينتظر المجرمين الذين توعدهم الله بقوله : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين/15 نسأل الله السلامة والعافية .

ومن جميل ما يروى عن الشافعي ما ذكره عنه الربيع بن سليمان . وهو أحد تلاميذه . : قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ؟ فقال الشافعي : " لما أن حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليلٌ على أن أولياءه يرونه في الرضى "

وأما الأدلة من السنة فهي كثيرة جداً ، فمنها :

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله : " هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ " قالوا : لا يا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

رسول الله . قال : " هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ " قالوا : لا . قال : " فإنكم ترونه كذلك ...الحديث ". متفق عليه .

وَفِي رِوَايَة لِلْبُخَارِيّ (لا تَضَامُّون أَوْ لا تُضَارُّونَ) عَلَى الشَّكّ وَمَعْنَاهُ : لَا يَشْتَبِه عَلَيْكُمْ وَتَرْتَابُونَ فِيهِ فَيُعَارِض بَعْضكُمْ بَعْضًا فِي رُؤْيَته . ولا يلحقكم في رؤيته مشقة أو تعب . وَاَللَّه أَعْلَم .ا.هـ مختصرا من شرح مسلم.

2- وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته " .

والتشبيه الذي في الأحاديث هو تشبيه للرؤية بالرؤية، أي أننا كما نرى الشمس في اليوم الصحو في غاية الوضوح ، ولا يحجب أحد رؤيتها عن أحد رغم كثرة الناظرين إليها ، وكما نرى القمر مكتملا ليلة البدر وهو في غاية الوضوح ، لا يؤثر كثرة الناظرين إليه على وضوح رؤيته فكذلك يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة بهذا الوضوح والجلاء ، وليس المقصود من الأحاديث تشبيه المرئي بالمرئي . تعالى الله . فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .وقد روى أحاديث الرؤية نحوٌ من ثلاثين صحابيا ، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها . فمن زعم بعد هذا أن الله تعالى لا يُرى في الآخرة فقد كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله ، وعرَّض نفسه للوعيد الشديد الوارد في قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين/ 15 نسأل الله تعالى العفو والعافية ، ونسأله أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم .. آمين .[42]

42/ موقع الإسلام سؤال وجواب .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مبحث الثاني

بيان الجزاء الأخروي لأهل الكفر والجحود والعصيان

بعد أن بين رحمه الله مآل الصالحين عرج على ذكر مآل المفسدين على عادة القرآن من ذكر الترهيب والترغيب ،وجعل ذلك من مقاصد القرآن الكريم لأهمية تخويف بعض الأنفس التي لا تنزجر إلا بذكر العقوبات والتشديد فيها ومن هنا جاء ذكر النار في القرآن ما يزيد على المائين وستين مرة ، ومن ذلك قوله تعالى :

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) البقرة (39)

(وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) البقرة (80)

(بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) البقرة (81)

(قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ) البقرة (126)

(أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) البقرة (221)

(وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) آل عمران (131)

(وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) آل عمران (151)

ربما تصورت - أخي الكريم- أن نار جهنم في حرها كنار الدنيا التي نعلم، ولكن الأمر ليس كذلك فهي أشد فيحاً. وإنما نار الدنيا جزء قليل من جهنم ،قال رسول الله : (ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية قال:فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً) البخاري ومسلم .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بل إن شدة الحر التي نشكو منها في الدنيا, ونتقيها بما نملك من وسائل التبريد والتلطيف إنما هي نَفَس جهنم تتنفسه, كما أن البرد الذي نشكو زمهريره ورعشته إنما هو نفس جهنم, قال صلى الله عليه وسلم :**(اشتكت النار إلى ربها، فقالت رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفَسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير) رواه البخاري ومسلم .**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(أبردوا بالصلاة,فإن شدة الحر من فيح جهنم)** رواه البخاري

و عن النعمان بن بشيررضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رحل يوضع على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه)**رواه مسلم .

وإن من شدة ما يجده أهل النار من الأهوال وألوان العذاب يتمنون فدية أنفسهم بكل شيء قال تعالى **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)** [آل عمران 91]

وقال سبحانه **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** المائدة (36).

فالآية الكريمة تبين ما أعده الله- تعالى- يوم القيامة للكافرين بآياته من عذاب أليم، لن يصرفه عنهم صارف مهما قدموا من ثمن، أو بذلوا من أموال.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والمراد بقوله: **لَوْ أَنَّ لَهُمْ** أى: لو أن لكل واحد منهم منفردا، ما في الأرض جميعا ومثله معه، وقدمه يوم القيامة ليخلص نفسه من العذاب، ما قبل منه ذلك الذي قدمه. وفي ذلك ما فيه من ثبوت العذاب عليهم ووقوعه بهم لا محالة.

وما ذلك إلا لعظم النكال والعذاب في تلك الدركات فلا نصير ولا منقذ ولا معين،بل إنهم يودون لو يفتدون بأبنائهم الذين من أصلابهم قال تعالى: **(يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ *كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**)[المعارج 11-16]

سلاسلها وأغلالها: وأهل النار في عذاب دائم, فقد جعل الله في أعناقهم الأغلال يسحبون منها, فتزيدهم عذاباً على عذاب وخلق لهم سلاسل يسلكون فيها.

قال تعالى (**إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ**) غافر (71)

وقال سبحانه (**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ**)الحاقة (32)

وما أعظم تلك السلاسل والأغلال, وتلك المقامع والأصفاد, وما أثقلها على أهل النار. ويا للهوان والذل الذي يجلبه منظر حاملها وسط الجحيم, فإنما قيدهم الله بها إذلالاً لهم لا خشية هربهم كما يقيد السجين في الدنيا.

قال الحسن: " فاعمل يا عبد الله ، امهد لنفسك ، إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب ، ولكنهم إن طفا بهم اللب أرسبتهم" ، فجسدك لا يطيق حلقة من تلك السلاسل الغلاظ، ولا يقوى على المكوث في حفرة النار لحظة واحدة، فهو عذاب لا ينفع معه صبر ولا جلد، ولا مال ولا ولد, ولن ينجيك منه أحد, سوى ما قدمت من عمل في هذه الأيام

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

شدة حرّها: وأما حر الدنيا فإنه يتقى, فقد مد الله لعباده الظل يقيهم الحر, ورزقهم الماء يرويهم من العطش, وأوجد لهم الهواء والريح الكريمة تلطف وتهون من شدة الفيح. أما في جهنم فإن هذه الثلاثة تنقلب عذاباً على أهلها فالهواء سموم,والظل يحموم والماء حميم.

قال تعالى (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ) [الواقعة 41-44]

وقال سبحانه انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ _لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ _إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ _ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) [المرسلات 30-33].

عياذاً بالله من حرها. فشررها قطع ضخمة على قد الحصون والقصور ويشبه الإبل السود في لونه من شدة السواد, أما دخانها فمتشعب إلى ثلاثة وهو يحموم لا ظليل ولا يغني من لهب جهنم الحارق.

ومن شدة حرها تلفح الوجوه فتتركها عظاماً لا لحم فيها, قال تعالى: **(لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ)** الأنبياء (39)

ومن شدة حرها تصهر البطون وما في أحشائها من أمعاء قال تعالى **(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ_يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ)** الحج 19]

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فاتق الله يا عبد الله. واعلم أن الخطب جسيم، وأن الخطر قريب(**فالجنة أقرب إليك من شراك نعلك والنار كذلك)** كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سعة جهنم : الضيق في جهنم إحدى وسائل العذاب التي يصبها الله على الكفار والعصاة.. فالضيق يشمل ظواهرهم وبواطنهم, وكيف لا ونفوسهم أصابها من الهم والغم والحسرة مالا يوصف مما هم فيه من العذاب والنكال.. حر وحميم وسموم ويحموم سلاسل وأصفاد وظلمة وسواد.. وقد اجتمعت عليهم ألوان العذاب وأشكاله فنفوسهم ضيقة ضنكة, وفوق ذلك كله تجدهم محشورين في أضيق الأماكن في جهنم تنكيلاً بهم وزياد لهم في الغم والهم،

قال تعالى (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً) [الفرقان 13]

فهم ملقون في أضيق الأماكن,وقد كانوا في الدنيا ينحتون من الجبال القصور فرحين بها, فما أحوجهم يوم القيامة إلى شبر من الأرض يعبدون الله فيه فينجون من ذلك الضيق وذلك العذاب. قال تعالى (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) قال أبو عبدة:" أي لفي حبس وضيق شديد)

فارحم نفسك يا عبد الله قبل فوات الأوان فأنت تحسب ألف حساب في حياتك حتى لا ترتكب ما يدخلك السجن في الدنيا، وقد تضطر إلى أن تتجاوز عن حقك مقابل السلامة والحرية والنجاة من ذلك.

وجهنم مع ما يحصل لأهلها من الضيق, فهي واسعة ضخمة, يدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله, إذ سمع وجبة (أي سقطة) فقال

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

النبي صلى الله عليه وسلم : **(تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً،فهو يهوى في النار إلى الآن)** [مسلم]

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لو أن حجراً مثل سبع خلفات ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها" [صحيح الجامع] ومما يدل على سعة النار وعظمها كثرة الداخلين إليها على ما هم عليه من ضخامة الجسم وعظم الهيئة, وكذلك قذف الشمس والقمر فيها على ضخامة الشمس وسعة القمر, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة**)[السلسلة الصحيحة]

ولك أن تتصور أخي الكريم ضخامة جهنم وعظمها، فهي واسعة عظيمة،كبيرة مهولة،ومع ذلك يجد فيها المجرمون من الضيق والحبس ما يعضون عليه الأنامل من ندم التفريط في الدنيا،ولك أن تتصور جسرها وكيف أنه يكفي لحمل الخلائق كلهم يوم القيامة, فكيف بجهنم نفسها؟

عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قالت: فأين الناس يومئذ؟قال: على جسر جهنم" [الترمذي وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه وهو صحيح الإسناد]

قال الغزالي : يقول أصحاب الجحيم ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى الخروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم, بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير.

ثم يقولون ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) فيقولون (ربنا أخرجنا نعمل

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

صالحا غير الذى كنا نعمل) فيجيبهم الله تعالى (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) ثم يقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها .فإن عدنا فإنا ظالمون) فيجيبهم الله تعالى (اخسئوا فيها ولا تكلمون) فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب .

قال مالك بن أنس رضى الله عنه قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى **(سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ) إبراهيم (21)** قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم **(يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت)** رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الرابع

المقصد الرابع وهو بيان قصص القرآن

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا

المبحث الأول : بيان قصص الصالحين (الأنبياء والأولياء) .

المبحث الثاني : بيان قصص الكافرين والمنكرين .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا

قال رحمه الله تعالى : وأما الثلاثة المُغْنِيَة المُتِمَّة:

- فأحدها: تعريف أحوال المُجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويقُ والترغيبُ، وتعريفُ أحوال النَّاكبين والنَّاكلين عن الإجابة وكيفيةُ قمعِ الله لهم وتنكيلِهِ لهم؛ وسِرُّهُ ومقصوده الاعتبار والترهيب.

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكَشْفُ فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمُحاجَّة على الحق، وسِرُّه ومقصوده في جنب الباطل الإِفضاحُ والتَّنْفير، وفي جَنب الحق الإيضاحُ والتَّثْبيتُ والتَّقهير.

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد. فهذه ستة أقسام.

قلت هذا الكلام يحتوي على ثلاثة فصول يأتي شرحها تباعاً إن شاء الله تعالى

وإليك عناوينها باختصار :

الفصل الرابع : المقصد الرابع وهو بيان قصص القرآن .

الفصل الخامس المقصد الخامس في إقامة الحجة الكفار ومجادَلَتِهم على اختلاف أنواعهم .

الفصل السادس : المقصد السادس في التعريف بعمارة منازل الطريق وكيفية التَّأهُّب لِلزَّاد (مقاصد الشريعة) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الأول

بيان قصص الصالحين (الأنبياء والأولياء)

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى :

أما أحوال السَّالكين: فهي قَصَصُ الأنبياء والأَوْلياء، كقصة آدمَ ونوح، وإبراهيمَ وموسى وهَارون، وزكريا ويحيى، وعيسى ومريَم، وداودَ وسُليمان، ويونُسَ ولوط، وإدريسَ والخَضِر، وشُعَيْبَ وإلياس، ومحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجبريلَ وميكائيلَ والملائكةِ وغيرِهم.

قلت : لما كانت هذه القصص معلومة ومن السهل على كل قارئ للقرآن أن ينتبه لها رأيت ألا ضرورة لذكرها ولكن سأذكر ما قاله أهل العلم في مقاصدها أجمالا ، وذلك من خلال النقاط الآتية [43]:

أولا: وأهمها: من جهة نظر القرآن نفسه تخفيف الضغط على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا الضغط كان قويًا وعنيفًا، وكانت أسبابه واضحة جلية؛ من كيدٍ للنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن والدعوة للإسلام، وهذا أثر بطريقة مباشرة في نفس النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعه إلى أن يضيق صدرًا؛ فقد قال الله تعالى: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)** [سورة الحجر: 97]،

وقال أيضًا: **(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ)**[سورة الأنعام: 33]، لقد كان لما يقوله الكفار أثر

43/ مقال بعنوان (القصص القرآني) للأستاذ علي الطاهر عبد السلام – موقع تفسير للدراسات اقرآنية .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بالغٌ في نفس النبي صلى الله عليه وسلم ونفس أتباعه، وقد قال الله تعالى: **(فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)**[سورة يونس: 94] فإن كنتَ يا محمد صلى الله عليه وسلم (**في شك مما أنزلنا إليك**) من القصص فرضًا (**فاسأل الذين يقرؤون الكتاب**) أي: التوراة (**من قبلك**) فإنه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه، وقد قال قتادة بن دعامة: (بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا أشك، ولا أسأل)**، إن هذا الضغط لم يقف عند حده؛ بل تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد مدى، قال الله تعالى: **(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ)** سورة القلم: 48- 49].

وقال أيضًا: **(فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)**[سورة هود: 12]، ونجد أن القرآن صرح بهذا الغرض، وذلك في قوله تعالى:**(وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)** [سورة هود: 120].

نتبين من هذه الآية أن الغرض هو التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم، وموعظة وذكرى للمؤمنين .

ثانيا : توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الإسلامي ومبادئه، ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق، وكل ما هو خير، وكل ما هو جميل، ولعل هذه العواطف هي التي تدفع إلى النشاط للدعوة، كما تجعل الإنسان

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

يستعذب الألم، ويتحمل الأذى في سبيلها، ومن هنا يكون التوجيه نحو القيم الجديدة، والإيمان بها، ثم الدفاع عنها، والعمل على حثِّ الناس على الإيمان بها، إيمانًا لا تزعزعه الحوادث، وأيضًا تكوين عواطف قوية وصادقة ضد ما هو قبيح وذميم من الأشياء والعادات والأعمال.

ومن أهم الأمور التي وجه القرآن العواطف نحوها مشكلات البعث والوحدانية، وبشرية الرسل، وتأييد بعضهم بالمعجزات، وإثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح -عليه السلام- إلى عهد محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله واحد رب الجميع.

ثالثاً : يقول الدكتور رشيد كهوس [44] :

شغل القصص القرآني مساحةً واسعةً من القرآن الكريم- تقارب ثلث القرآن؛ ويمكن إجمال أهم أهداف القصص القرآني ومقاصده فيما يأتي:

1- **تثبيت قلب سيدنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين**: قال الله - عز اسمه وتقدست كلماته-: (**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**)[سورة هود: 120]، ففي القصص القرآني وأخبار السابقين تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وأتباعه من بعده، حتى يصبروا على الابتلاء والأذى كما صبر من سبقهم بالإيمان من أتباع الأنبياء والمرسلين حتى أتاهم نصر الله: **(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**

44/ مقاصد القصص القرآني - بقلم: الدكتور رشيد كهوس- موقع مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، جمادى الآخرة 1437 هـ = مارس – أبريل 2016م ، العدد : 6 ، السنة : 40

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ) [الأنعام:33-34].

2- **إثبات صدق نبوة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ورسالته:** لأن دعوة أنبيائه ورسله واحدة ومنهاجهم واحد، وعقيدتهم واحدة... ولهذا فالنبي –صلى الله عليه وسلم- في دعوته ورسالته ليس بدعًا من الرسل؛ وإنما رسول من رب العالمين، قال الله - جل جلاله-: **(قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ)** [سورة الأحقاف:9]، وبنزول القرآن عليه بأخبار السابقين وأقوامهم لأكبر دليل على صدق نبوته ورسالته، قال الحق - جل وعلا-: **(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)**[سورة هود:49].

3-**السير على منهاج السنن الإلهية وعدم تنكبها:** إن إلحاح القرآن الكريم على الأمر بالسير في الأرض، لا لمجرد التسلي والوقوف على مصارع الأقوام الغابرة، والنظر في عاقبة المكذبين على مدار التاريخ، ولكن للاعتبار، وتجنب أسباب الهلاك التي وقعوا فيها، واكتشاف سنن الله التي لا تتعطل ولا تنخرم في التاريخ حتى لا تسقط الأمة فيما سقطوا فيه وتحصدها عجلة السنن.

فالتاريخ يعيد نفسه، وتظهر فيه سنن الله جلية لاحبة. **(أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرٰهِيمَ وَأَصْحٰبِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون)** [سورة التوبة:70]. فأحداث التاريخ تتكرر، وسنة الله ثابتة مطردة على مدار التاريخ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

إن قصص القرآن كنزٌ لا ينفد، ومَعين لا ينضب، في عبره ودروسه ، في الإيمان، وفي العمل والدعوة، وفي الجهاد والتربية، وفي المنطق والأسلوب، وفي الصبر والثبات، وفي الموازين والحقائق.

هذا علاوة على أن أفضل الفوائد والفرائد وأهم الدروس و العبر في القصص القرآني هو تنبيه الناس على سنن الله -تعالى- في نشوء المجتمعات واندثارها، وتأثير أعمال الخير والشر فيها، ومطالعة أمر الله في أحوال الكافرين وسنته المطردة التي -لا تتعطل- فيهم: **(وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)** [سورة الرعد:31].

4- **تثبيت عقيدة الإيمان وإبطال العقائد الفاسدة والضالة:** وذلك من خلال الإيمان بالله –تعالى- وتوحيده في ألوهيته وربوبيته وصفاته، والإيمان بالبعث والنشور، وبكل أنبياء الله ورسله وملائكته وكتبه، وقضائه وقدره، وهذا واضح جلي من خلال قصص القرآن عن دعوات الأنبياء والرسل لأمتهم وأقوامهم. قال الحق -جل وعلا- في دعوة هود - عليه السلام- لقومه إلى الإيمان بالله وحده: **(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ)** [هود:50]، وقال عز من قائل في دعوة شعيب - عليه السلام- لقومه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر: **(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)** [سورة العنكبوت:36]...

5- **تقويم سلوك الأفراد والجماعات وأخلاقهم:** لتحقيق سنة الاستخلاف في الأرض، وهذا واضح وجلي من خلال معالجة كل نبي ورسول لصفة معينة في قومه كان يسعى لإصلاحها، كما سعى نبي الله لوط - عليه السلام- لإصلاح ما وقع فيه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

قومه من الفواحش والرذائل الدنيئة، وسعى نبي الله شعيب لإصلاح خلق قومه: **(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)** [سورة الأعراف(85-86)]. وكما سعى كل الأنبياء والرسل لإصلاح أقوامهم، ففي هذه القصص عبرة وعظة ودروسٌ بارزةٌ لهذه الأمة، حتى لا تقع فيما وقع فيه أولئك فيحيق عليها العذاب الآجل والعاجل.

وخلاصة القول: لقد عني القرآن الكريم عنايةً كبيرةً بالقصص، ونبه عقول الناس بلفت أنظارهم إلى ما حدث للأمم الغابرة، وأورد الكثير منها على وجه التفصيل، لا لمجرد التسلي والاطلاع على الأخبار، بل تعتبر تلك الأحداث التاريخية مرآة تتجلى فيها سنن الله في خلقه، ولهذا فإذا عرف الناس قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم، واعتبروا بها وأخذوا دروسها نجوا من الهلاك والخسران المبين.

وصدق الله: **(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [سورة يوسف:111]. **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)** [سورة ق: 37].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الثاني

بيان القصص الكافرين والمنكرين

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى :

وأما أحوالُ الجاحدين والنَّاكبين : فهي كقَصَصِ نمرودَ وفرعون، وعادٍ وقَومِ لوط، وقَومِ تُبَّع، وأصحابِ الأَيْكَة، وكفارِ مَكَّة، وعَبَدَةِ الأوثان، وإبليسَ والشياطينَ وغَيرِهم؛ وفائدةُ هذا القسم التَّرهيب والتنبيه والاعتبار، ويشتمل أيضاً على أسرارٍ ورُموزٍ وإشارات مُحْوِجَة إلى التفكرُّ الطويل، وفيهما يوجد العَنبر الأَشهَب، والعودُ الرَّطْبُ الأَنْضَر، والآيات الواردة فيهما كثيرة لا يُحتاجُ إلى طلبها وجمعها.

قلت : كما أن قصص الصالحين كان بيانها من المقاصد الكلية للقرآن فكذلك بيان قصص الجاحدين ، وإليك بيان وجه ذلك من كلام العلماء :

يقول الشيخ عبدالله بن حمد الشبانة [45]:

الفوائد المستنبَطة من الآيات القرآنية الكريمة في الكفر والكافرين : ذكر الكاتب تحت هذا العنوان ثمانية وسبعين فائدة فاخترت منها خمسة وعشرين فقط طلباً لما يتوافق مع مقاصد القرآن ، وهي :

1 - أنَّ الكافرين مغضوبٌ عليهم من ربِّ العالمين، وضالون عن الطريق والصراط المستقيم.

45/ من مقال له بعنوان الكفر والكافرون في القرآن الكريم - موقع الألوكة الشرعية .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

2 - أنَّ الكافرين عُمْي أبصارٍ، وصُمٌّ آذانٍ، غُلف قلوب، ولذلك فهم مصرُّون على كفرهم، يستوي لديهم الإنذار وعدمه.

3 - أنَّ الكافرين يَستعظمون ما يضربه الله من أمثال، ويستغربون ذلك ويتساءلون في إنكار وتعجُّب: ماذا يريد الله بضرب هذه الأمثال؟ بخلاف المؤمنين الذين يقدرون اللهَ حقَّ قدره، ويعلمون حِكمتَه - سبحانه - ولا يَعترضون على شيء من أفعاله - عزَّ وجلَّ.

4 - أنَّ الكافرين قد عطَّلوا عقولهم، فلا يستعملونها في التفكُّر في آيات الله الدالة على قدرته المطلقة، واستحقاقه - سبحانه - وحدَه للعبادة، والإيمان به وبرسله وكتبه، وكل ما أخبر به من الغيب، ومن أعظم الدَّلائل على قدرته - سبحانه - كونُهم أمواتًا قبل إيجادهم وخلقهم وإخراجهم من بطون أمَّهاتهم، فكيف يكفرون بمُحييهم بعدَ أن لم يكونوا شيئًا؟!

5 - استحقَّ الكافرون غضبَ الله ومقتَه بسبب كفرهم، وقتلهم أنبياءَهم بغير حق.

6 - نتيجة التخبُّط والشك ومرض قلوب الكافرين بالرَّيْب، وعدم التصديق والإيمان بكلِّ ما جاء عن الله على ألْسنة أنبيائه ورسله، فإنَّ الكافرين يؤمنون بما يُوافِق أهواءَهم من الكتاب، ويكفرون بما لا يوافق أهواءَهم منه.

7 - أنَّ الكافرين يدَّعون بأنَّ على قلوبهم ما يحجبها عن التصديق والإيمان، وأنَّها مغلفة لا يدخل إليها حقٌّ، ولا ينفذ إليها ضوء إيمان، ويردُّ الله عليهم بأنَّه قد لعنهم، ولذلك كان إيمانهم قليلاً.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

8 - أنَّ الكافرين مِن أهل الكتاب يَكفرون بالقرآن الكريم الذي هو الحقُّ، مع أنه مصدقٌ لكتبهم السابقة.

9 - أنَّ الكافرين لا يريدون الخيرَ للمسلمين، ولا يسرُّهم أن ينزل عليهم من ربِّهم أيُّ قدر، ولو يَسيرًا منه.

10- أنَّ مَن يموت كافرًا فهو مبعد مطرود عن رحمة الله، يلعنه الله، وتلعنه ملائكتُه، ويلعنه الناس أجمعون، وأنَّه خالد في النار لا يُخفَّف عنه عذابها يُلقى فيها سريعًا دون إنظار وأن كل أعماله قد حبطت وألغيت بسبب إصراره على الكفر وعدم توبته منه قبل الممات.

11 - أنَّ الكافرين معطِّلون لعقولهم لا يُعملونها، ولأبصارهم فلا يُقلِّبونها في مخلوقات الله وآياتِه؛ تفكُّرًا وتأمُّلاً، ولأسماعهم فلا يفتحونها لسماع الحقِّ، فهم صمٌّ بكم عُمي، كالذي يُردِّد ما يتوهَّمه صوتًا، فهو يَنعِق بما لا يسمع.

12 - أنَّ الكافرين مُخلِدون إلى الدنيا، متكالبون عليها وأنَّ من أبرز صفاتهم الهزء والسُّخرية بالمؤمنين، لكنَّ المؤمنين الأتقياء فوقهم يوم اليامة، يوم الجزاء والحساب، فهم في الجنة، بينما الكافرون في النار، والجنة علو، والنار سُفْل.

13- أنَّ عذاب الله للكافرين ليس مختصًّا بالآخرة، بل إنَّ الله يعذبهم في الدنيا أيضًا عذابًا شديدًا بالقوارع والنوازل التي تَحُلُّ بهم من حدوث المرهوب، أو فقد المحبوب دون أن يجدوا ناصرًا يَنصرهم، أو معينًا يُعينهم.

14- أنَّ من طبع الكافرين المخادعةَ والمداهنة، ولذلك فإنَّ جماعةً منهم (اليهود) قالوا لقومهم: نافِقُوا المؤمنين فآمِنوا بدينهم أوَّل النهار، ثم اكفروا آخرَ النهار لعلَّ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ذلك يكون سببًا في رجوع المؤمنين عن دِينهم إذا رأوكم رجعتم عنه وأنتم أهل عِلم وكتاب سابق.

15- أنَّ الله لا يقبل من الكافرين فديةً يفتدون بها أنفسهم من عذاب الله مهما بلغت، حتى لو افتدى الواحد منهم نفسَه بملء الأرض ذهبًا، فلن يقبل الله منه ذلك، ولن ينجيهم ذلك من عذاب الله الذي ينتظرهم.

16- أنَّ ما يُنعم الله به على الكافرين في الدنيا من نِعم ليس خيرًا لهم، وإنَّما هو إملاء منه - سبحانه - واستدراج لهم؛ ليغترُّوا بذلك، فيزدادوا كفرًا، فيزدادوا إثمًا يستحقُّون به العذابَ الأليم في الآخرة.

17- ينبغي ألاَّ يَغترَّ المؤمن بتقلُّب الكافرين في نعم الله، فإنَّما هو متاع زائل قليل يُعْقِبُ بعده عذابًا شديدًا في نار جهنم التي هي مأواهم ومقرُّهم الأبدي.

18 - أنَّ عذاب الله للكافرين في نار جهنم دائم مستمرٌّ، لا يُفتَّر عنهم ولا يُخفف، بل إنَّ جلودهم تُبدَّل بجلود غيرها، كلما نضجت من شدَّة العذاب ليستمرَّ إحساسهم بذلك العذاب المتمثِّل في شدَّة حرارة النار - نعوذ بالله منها.

19 - الكافرون مهزومون مغلوبون مهما عملوا، ومهما أنفقوا، فإنَّهم لا يَألُون جُهدًا في الصدِّ عن سبيل الله، لكن عاقبة أمرهم إلى وبال وخسار، فهم يُنفقون أموالهم للصدِّ عن سبيل الله، فتكون تلك الأموالُ وإنفاقها في هذا السبيل حسرةً عليهم؛ لأنَّهم سيُغلبون رغم إنفاقها، فيجتمع عليهم خسارتان: خسارة الأموال، وخسارة النتيجة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

20- يَنبغي ألاَّ ينبهر المؤمنون بما لَدَى الكفَّار من أموال وأولاد، فإنَّما هي عذاب عليهم يُريد الله - جلَّ جلاله - أن يُعذِّبهم في الدنيا، فهي وبال عليهم، وسيموتون كفَّارًا والعياذ بالله.

21- من طبيعة الكافرين الكِبرُ والغرور، والصلف والغطرسة، فذلك الخُلق السيِّئ الرديء هو الذي مَنَع بعضَهم من الإيمان والتصديق بما جاء به الأنبياء والرسل واتباعهم، بحجة أنَّ أولئك الرسل والأنبياء بَشرٌ مثلهم، أو بحجَّة أنَّ الضعفاء الذين يرونهم دونهم في كلِّ شيء هم الذين اتبعوهم.

22- في يوم القيامة تنكشف الأمور، ويتضَّح ما لم يكن متضحًا من قبلُ ممَّا يجعل ذوي العِلم والإدراك والفَهْم يرون خِزيَ الكافرين، وفضيحتهم وسوء مآلهم، وعاقبة أمرِهم واضحًا بيِّنًا، بل لا خزي غيره، ولا سوء سواه.

23 - يبرز الله - سبحانه - النار للكافرين، ويُظهرها لهم قبلَ دخولها، بحيث يَرَوْن أهوالها، وما أعدَّ الله لهم فيها من أنواع النَّكال تعجيلاً لهمِّهم وغمِّهم، وزيادةً في العذاب النفسي لهم.

24 - الكفر ملَّة واحدة، والكافرون سواء في الكفر، من أوَّلهم إلى آخِرهم، فلا يمتاز أحد منهم على أحد، وليس أحدٌ منهم خيرًا من أحد.

25 - الكفر وصفٌ جامع يندرج تحتَه أوصاف شتَّى، كالظُّلم والفِسق والضلال، والشك والرَّيب، فالكافرون ظالمون فاسقون ضالُّون، يغلِّف حياتهم الشكُّ والحيرة والتردُّد.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

والخلاصة من فوائد قصص القرآن أن يقال :

أنَّ الكفر بالله ورسله وأنبيائه وكتبه والغيب الذي أخبر عنه - سبحانه - أو بشيء من ذلك هو شرُّ الأعمال وأقبحها؛ لأنَّه إنكار لمعلوم، وتكذيب بما قامت الدلائلُ والبراهين على صِدقه، لو أعمل الكافرُ عقلَه وتفكَّر فيما حوله من مخلوقات الله وآياته الكبرى، ممَّا يحويه هذا الكونُ الفسيح العظيم الخَلق الدَّال على عِظم خالقه، وكونه وحدَه المستحقَّ للعبادة، لكن الكافر معطِّلٌ لعقله، مُقلِّد لغيره لا يستعمل سمعَه وبصره فيما ينبغي أن يستعملهما فيه، فكأنَّه - والحال هذه - أعمى وأصم، كما أنَّه لا يستعمل لسانه فيما ينبغي أن يستعمله فيه مِن ذِكْر الله المنعم، وشكره فكأنَّه لأجل ذلك أبكمُ، إذ ما فائدة هذه الحواس إذا لم تُستعمل فيما ينبغي أن تُستعمل فيه؟ إنَّ وجودَها في هذه الحال كعدمها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الخامس

المقصد الخامس في إقامة الحجة على الكفار ومجادَلَتِهم على اختلاف أنواعهم

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملاً

المبحث الأول : إقامة الحجة على مَنْ أشرك بالله تعالى ونسب له الولد أو البنت أو الصاحبة .

المبحث الثاني : إقامة الحجة على مَنْ أنكر النبوة وألصق التهم بالرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : إقامة الحجة على مَنْ أنكر اليوم الآخر أو بعض ما يتعلق به

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تمهيد :ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملاً

قال رحمه الله تعالى :

بيان المقصد الثاني - من المقاصد المتمة – (وهو الفصل الخامس حسب تقسيمنا) **في مُحاجَّةِ الكفار ومجادَلَتِهم وإيضاحِ مَخازيهم بالبُرهان الواضح وكَشْفِ تَخَايِيلِهم وأباطيلهم :**

[وذلك] ثلاثة أنواع:

أَحَدُهَا: ذِكْرُ الله تعالى بما لا يليق به، مِن أنَّ الملائكة بناتُه وأنَّ له ولداً وشريكاً، وأنه ثالث ثلاثة.

والثاني: ذِكْرُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه ساحرٌ وكاهِنٌ وكذَّاب، وإنكارُ نبوَّته، وأنه بشرٌ كسائر الخلق فلا يستحق أن يُتَّبع.

وثالثها: إنكارُ اليوم الآخِر، وجَحْدُ البَعْثِ والنُّشور، والجنةِ والنار، وإنكارُ عاقبة الطاعة والمعصية. وفي مُحاجَّةِ الله تعالى إياهم بالحُجَج لطائفُ وحَقائق، ويوجد فيها التِّرْياقُ الأكبر، وآياتُه أيضاً كثيرة ظاهرة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

إقامة الحجة على مَنْ أشرك بالله تعالى ونسب له الولد أو البنت أو الصاحبة

لعل الأسباب التي دفعت الغزالي رحمه الله تعالى إلى إدخال هذا المبحث ضمن المقاصد الكلية للقرآن واضحة، ومنها :

1/ وقوع ذلك من البشر عبر التاريخ فقد ادعى النصارى أن المسيح ابن الله ، كما ادعت اليهود أن عزيرا ابن الله ثم جاء مشركوا العرب وزعموا أن الملائكة بنات الله وأن له صاحبة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا - بل هذا الذي قالوه محض افتراء على الله تعالى وكفر صريح .

2/ أن القرآن الكريم لم يترك عقيدة باطلة أو شبهة مزعومة تعلق بها أهل الكفر إلا ورد عليها وخاصة إذا كانت ظاهرة في تاريخ البشر كما هو الحال مع هذا المعتقد الباطل، وذلك لحرصه على صفاء العقيدة وسلامة الإيمان .

3/ تعهد الشيطان بإضلال الإنسان فكان من أساليبه التي سلكها لإيقاع الإنسان في الشرك بالله تعالى إلقاء مثل هذه الشبهة في قلب ابن آدم ، ولذلك قال الجن بعد إيمانهم (وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) سورة الجن (3-4) . والمراد بالسفيه هنا: إبليس لعنه الله .

وأنقل إليك كلام أهل العلم في الرد على تلك الشبهات المضللة من خلال النقاط الآتية[46]:

46/ الشبكة الإسلامية – ركن الفتوى .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

1/ من المحال على الله سبحانه وتعالى أن يتخذ صاحبة أو ولدًا، وأبعد من ذلك أن يكون له والد؛ لأن ذلك معناه أنه كان بعد أن لم يكن، أو أنه كان قبله شيء.

روى الترمذي عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فأنزل الله: **(قل هو الله أحد الله الصمد)** . والصمد: الذي**(لم يلد ولم يولد)**؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، ولا شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث: ولم يكن له كفوًا أحد . قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

ولا ريب في أن ذلك كله نقص يتنزه عنه مقام الألوهية والربوبية، ولا يمكن لمن وقف على باب هذا الرحاب أن يعتقد شيئًا من ذلك، فإن معرفة هذا المقام تحول بين العبد وبين هذا الشطط في الفكر والاعتقاد؛ ولذلك قال مؤمنو الجن: (**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا**) {الجن: 4.3}.

قال السعدي في تفسيره: (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) . أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه: **(مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا)** . فعلموا من جد الله وعظمته ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة، أو ولدًا؛ لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك؛ لأنه يضاد كمال الغنى: **(وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا)**. أي: قولاً جائرًا عن الصواب، متعديًا للحد، وما حمله على ذلك إلا سفهه وضعف عقله. اهـ والشَّطَطُ هو: الإفراط في البعد . كما قال الراغب في المفردات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقال ابن كثير في تفسيره: بيَّن تعالى أنه لا ولد له، كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير وعيسى، فقال: **(لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء)** . أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال: **(لو أردنا أن نتخذ لهوًا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين)** {الأنبياء:17} **(قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)** {الزخرف:81} كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم، وقوله: سبحانه هو الله الواحد القهار . أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه وهو الغني عما سواه، الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت. اهـ

2/ لقد حمد الله تعالى نفسه وأثنى عليها ومجَّدها بانتفاء مثل هذه النقائص عنه، فقال عز من قائل: **(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)** {الإسراء: 111}.

وقال سبحانه:**(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)** {الفرقان:21}.

3/ قد تناول القرآن هذه القضية بالحسم والبيان في مواضع كثر، فمن ذلك قوله تعالى: **(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** البقرة(116. 117).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقوله: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) {الأنعام:100. 102}.

وقوله: (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) {يونس:68.70}.

وقوله:(وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا)}الكهف:4.5}.

وقوله: (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)}مريم:35}.

وقوله:(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) مريم:88. 92}.

وقوله: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) سورة الصافات: 149. 159}.

وختام ذلك سورة كاملة وهي سورة الإخلاص:**(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)** .

4/ مما جاء في السنة عن ذلك، قول النبي صلى الله عليه وسلم:**(لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل، إنه يشرك به ويجعل له الولد، ثم هو يعافيهم ويرزقهم)**. متفق عليه.

وقوله صلى الله عليه وسلم في ما يرويه عن ربه، قال: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني، وما ينبغي له، أما شتمه فقوله: إن لي ولدًا، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني. رواه البخاري.

5/ إن مدارسة هذه الآيات القرآنية والنصوص النبوية كفيل بتقرير الحق في هذه القضية، ونحن نكتفي بكلام الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد حيث يقول: رد عليهم سبحانه دعواهم له اتخاذ الولد، ونزّه نفسه عنه، ثم ذكر خمس حجج على استحالة اتخاذه الولد:

الحجة الأولى : كون ما في السموات والأرض ملكًا له، وهذا ينافي أن يكون فيهما ولد له؛ لأن الولد بعض الوالد وشريكه، فلا يكون مخلوقًا له مملوكًا له؛ لأن المخلوق مملوك مربوب عبد من العبيد، والابن نظير الأب، فكيف يكون عبده تعالى ومخلوقه ومملوكه بعضه ونظيره؟! فهذا من أبطل الباطل، وأكد مضمون هذه الحجة بقوله: **كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ** . فهذا تقرير لعبوديتهم له، وأنهم مملوكون مربوبون ليس فيهم شريك ولا نظير ولا ولد، فإثبات الولد لله تعالى من أعظم الإشراك به،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فإن المشرك به جعل له شريكًا من مخلوقاته مع اعترافه بأنه مملوك، كما كان المشركون يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك . فكانوا يجعلون من أشركوا به مملوكًا له عبدًا مخلوقًا، والنصارى جعلوا له شريكًا هو نظير وجزء من أجزائه.

كما جعل بعض المشركين الملائكة بناته، فقال تعالى: **(وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا)** . فإذا كان له ما في السموات والأرض عبيد قانتون مربوبون مملوكون استحال أن يكون له منهم شريك، وكل من أقر بأن لله تعالى ما في السموات وما في الأرض لزمه أن يقوله بالتوحيد ولا بد؛ ولهذا يحتج سبحانه على المشركين بإقرارهم بذلك كقوله: **(قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)** .

الحجة الثانية: قوله تعالى: **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**: هذه من أبلغ الحجج على استحالة نسبة الولد إليه؛ ولهذا قال في سورة الأنعام: **(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ)** أي من أين يكون لبديع السموات والأرض ولد، ووجه تقرير هذه الحجة أن من اخترع هذه السموات والأرض مع عظمهما وآياتهما وفطرهما وابتدعهما فهو قادر على اختراع ما هو دونهما، ولا نسبة له إليهما البتة، فكيف يخرجون هذا الشخص بالعين عن قدرته وإبداعه ويجعلونه نظيرًا وشريكًا وجزءًا مع أنه تعالى بديع العالم العلوي والسفلي وفاطره ومخترعه وبارئه، فكيف يعجزه أن يوجد هذا الشخص - عيسى عليه السلام - من غير أب حتى يقولوا: إنه ولده، فإذا كان قد ابتدع العالم علويه وسفليه، فما يعجزه ويمنعه عن إبداع هذا العبد وتكوينه وخلقه بالقدرة التي خلق بها العالم العلوي والسفلي، فمن نسب الولد لله فما عرف الرب تعالى،ولا آمن به ولا عبده، فظهر أن هذه الحجة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

من أبلغ الحجج على استحالة نسبة الولد إليه، وإن شئت أن تقرر الاستدلال بوجه آخر وهو أن يقال: إذا كانت نسبة السموات والأرض وما فيهما إليه، إنما هي بالاختراع والخلق والإبداع، أنشأ ذلك وأبدعه من العدم إلى الوجود، فكيف يصح نسبة شيء من ذلك إليه بالبنوة؟! وقدرته على اختراع العالم وما فيه لم تزل ولم يحتج فيها إلى معاون ولا صاحب ولا شريك، وإن شئت أن تقررها بوجه آخر فتقول: النسبة إليه بالبنوة تستلزم حاجته وفقره إلى محل الولادة، وذلك ينافي غناه وانفراده بإبداع السموات والأرض.

وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله: **(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)** . فكمال قدرته وكمال غناه وكمال ربوبيته يجعل نسبة الولد إليه ونسبته إليه تقدح في كمال ربوبيته وكمال غناه وكمال قدرته، ولذلك كانت نسبة الولد إليه مسبة له تبارك وتعالى، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(يقول الله تعالى: شتمني عبدي ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد، وأما تكذيبه إياي: فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته)** .

وقال عمر بن خطاب . رضي الله عنه . في النصارى: أذلوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر. وقال تعالى: **(وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ)**. الآية، وأخبر تعالى: **(تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً)** . وما ذاك إلا لتضمنه شتم الرب تبارك وتعالى والتنقص به ونسبة ما يمنع كمال ربوبيته وقدرته وغناه إليه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الحجة الثالثة: قوله تعالى:(**إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**). وتقرير هذه الحجة أن من كانت قدرته تعالى كافية في إيجاد ما يريد إيجاده بمجرد أمره وقوله: كن . فأي حاجة به إلى ولد، وهو لا يتكثر به من قلة, ولا يتعزز به, ولا يستعين به، ولا يعجز عن خلق ما يريد خلقه، وإنما يحتاج إلى الولد من لا يخلق, ولا إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون, وهذا المخلوق العاجز المحتاج الذي لا يقدر على تكوين ما أراد، وقد ذكر تعالى حججًا أخرى على استحالة نسبة الولد إليه فنذكرها في هذا الموضع.

الحجة الرابعة: كمال علمه وعموم خلقه لكل شيء, واستحالة نسبة الصاحبة إليه، فقال تعالى في سورة الأنعام: (**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ**). الآية، فأما منافاة عموم خلقه لنسبه الولد إليه فظاهر، فإنه لو كان له ولد لم يكن مخلوقا، بل جزءا وهذا ينافي كونه خالق كل شيء... وأما منافاة عدم المصاحبة للولد فظاهر أيضًا؛ لأن الولد إنما يتولد من أصلين فاعل ومحل قابل يتصلان اتصالًا خاصًا فينفصل من أحدهما جزء في الآخر يكون منه الولد، فمن ليس له صاحبة كيف يكون له ولد، ولذلك لما فهم عوام النصارى أن الابن يستلزم الصاحبة لم يستنكفوا من دعوى كون مريم إلاهة، وأنها والدة الإله عيسى.

الحجة الخامسة: وأما منافاة عموم علمه تعالى للولد فيحتاج إلى فهم خاص، وتقريره أن يقال: لو كان له ولد لعلمه لأنه بكل شيء عليم، وهو تعالى لا يعلم له ولدًا، فيستحيل أن يكون له ولد لا يعلمه، وهذا استدلال بنفي علمه للشيء على نفيه في نفسه؛ إذ لو كان لعلمه، فحيث لم يعلمه فهو غير كائن... اهـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

إقامة الحجة على مَنْ أنكر النبوة وألصق التهم بالرسول صلى الله عليه وسلم

مما هو معلوم من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تعرض لصنوف من الأذى الحسي والمعنوي ، ومن الأذى المعنوي تكذيبه - وحاشاه - وإنكار نبوته مِن قِبَل بعض المستكبرين على دعوته من مشركي العرب بل ووقع ذلك من بعض ذوي قرابته هذا ما كان في مكة ، كما وقع تكذيبه من الحاقدين عليه من اليهود والنصارى والمنافقين - بعد هجرته في المدينة - فكان الله تعالى لهم بالمرصاد إما بأن ينزل الآيات التي ترد على شبهاتهم التي يريدون من خلالها إثارة الشغب وصد العوام عن دعوة الإسلام، أو أن ينزل آيات تذب عن الحبيب عليه الصلاة والسلام وتدحض اتهاماتهم الباطلة التي هي مبنية على أحقادهم وحسدهم الذي امتلأت به صدورهم .

وما أنزله الله تعالى من آيات تدافع عنه صلى الله عليه وسلم لكشف شبهات أولئك المبطلين كثيرة جدا[47] ، ولذا جعلها الغزالي من المقاصد الكلية للقرآن الكريم ، وانا سأذكر هنا بعضا من تلك الشبهات التي ردها الله تعالى على قائليها ، وذلك من خلال محورين[48] :

47/وقد وفقني الله تعالى لتتبعها فوجدتها تصل إلى المائة موضع فقمت بتفسيرها في كتابي(فتح الودود ببيان آيات الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحكم الردود)

48/ انظر فتح الودود ببيان آيات الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحكم الردود – ما ورد في سورة ص .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المحور الأول : اتهام المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم بالسحر والكذب – وحاشاه – ورد الله تعالى عليهم :

قال تعالى في سورة ص (وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7) أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (8)

وبيانها من خلال النقاط الآتية :

أولاً : سبب نزولها : وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات منها: أن جماعة من قريش اجتمعوا في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبى طالب، لنكلمه في شأن ابن أخيه ... فلما دخلوا على أبى طالب قالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه. فقال أبو طالب للنبي صلّى الله عليه وسلم يا ابن أخى هؤلاء مشيخة قريش، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك. فقال صلّى الله عليه وسلم: (يا عم، أفلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم؟) قال: وإلام تدعوهم؟ قال: (أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم) .فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك؟ لنعطينها لك وعشرة أمثالها، فقال صلّى الله عليه وسلم: (تقولون: لا إله إلا الله) فنفر أبو جهل وقال: سلنا غير هذا ؟ فقال صلّى الله عليه وسلم: (لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها في يدي، ما سألتكم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

غيرها) فقاموا غضابا. وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي أرسلك بهذا ، فنزلت هذه الآيات .

وفي رواية – جاء في آخرها – (فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : قولوا لا إله إلا الله . فنفروا من ذلك وقاموا ، فقالوا : أجعل الآلهة إلها واحدا فكيف يسع الخلق كلهم إله واحد . فأنزل الله فيهم هذه الآيات إلى قوله : كذبت قبلهم قوم نوح) ذكرها القرطبي .

ثانياً : تضمنت الآية بحسب ما ورد في سبب النزول استنكار المشركين أن يكون للكون إله واحد ، والوقوع في السخرية من النبي صلى الله عليه وسلم واتهامه بأنه ساحر - وحاشاه - حين دعاهم إلى أن يقولوا : لا إله إلا الله .

ثالثاً : جاء دفاع الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ووجه القرآن سهامه ضد أولئك الملأ من قريش الذين اجتمعوا على الباطل وعلى مهاجمة من يدعو إلى التوحيد والصد عن سبيله ووفند هذه التهمة الموجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم واتهامه بأنه ساحر ، وذلك بما يأتي:

1/ تعجب القرآن من تعجبهم كما رد على فريتهم فقال (وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) ومعنى (وَعَجِبُوا) مأخوذ من العجب، وهو تغير في النفس من أمر لا ترتاح إليه، وتخفى لديها أسبابه.أى: وعجب هؤلاء الكافرون من مجيء منذر منهم ينذرهم بسوء عاقبة الشرك. ويأمرهم بعبادة الله- تعالى- وحده. وَقالَ هؤلاء الْكافِرُونَ عند ما دعاهم الرسول صلّى الله عليه وسلم إلى الدين الحق.(هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ) أى: قالوا: هذا الرسول ساحر لأنه يأتينا بخوارق لم نألفها، وكذاب فيما يسنده إلى الله- تعالى- من أنه- سبحانه- أرسله إلينا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

2/ الحقيقة التي لا تخفى على أحد من أولئك الكفار وهي أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ليس بساحر ، ولكن هذه التهمة سببها كفرهم وهو الباعث لهم على وصف الرسول صلّى الله عليه وسلم بما هو منزه عنه من السحر والكذب.

وقال الرازي :اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق أردفه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال : (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) . في قوله : (منهم) وجهان .

الأول : أنهم قالوا : إن محمدا - صلّى الله عليه وسلم - مساوٍ لنا في الخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة ، فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات والرفيعة .

والثاني : أن الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال جهالتهم ، وذلك لأنه جاءهم رجل يدعوهم إلى التوحيد وتعظيم الملائكة والترغيب في الآخرة ، والتنفير عن الدنيا ، ثم إن هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيدا من الكذب والتهمة ;وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ، ثم إن هؤلاء الأقوام لحماقتهم يتعجبون من قوله – لا إله إلا الله - ،ونظيره قوله : (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) [المؤمنون : 69]

فقال : **(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم)** ومعناه أن محمدا صلّى الله عليه وسلم كان من رهطهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الأسباب الدنيوية فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه ، وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله وأن يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة ، وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب إلا الحسد

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

3/ قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى : وقد رد الله تعالى على الكفار عجبهم من إرسال الرسل من البشر في آيات من كتابه ، كقوله تعالى : **(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق)** [الفرقان / 20] وقوله تعالى : **(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية)** [الرعد / 38] وقوله تعالى : **(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى)** يوسف (109) وقوله تعالى : **(وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين)** الأنبياء (7 - 8) وقوله تعالى : (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) إبراهيم (11) أي بالرسالة والوحي ولو كان بشرا مثلكم إلى غير ذلك من الآيات.

4/ رد الله تعالى على افترائهم على سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال تعالى : (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) وإنما لم يقل (وقالوا) بل قال : (وقال الكافرون) فوصفهم بالكفر وهذا الوصف هو عين الرد على اتهامهم إياه صلّى الله عليه وسلم بالسحر والكذب ، كما أن فيه إظهارا للتعجب ودلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام ، فإن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ، ويدعو إلى طاعة الشيطان ، وهو صلّى الله عليه وسلم عندكم بالعكس من ذلك ، والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه ، وهو صلّى الله عليه وسلم يخبر عن وجود الصانع القديم الحكيم العليم ، وعن الحشر والنشر وسائر الأشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف يكون كذابا ؟؟

5/ حكى الله تعالى حالة صناديد قريش وهم يخرجون من عند النبي صلّى الله عليه وسلم بعد أن رد عليهم بقوله (لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها في يدي، ما

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

سألتكم غيرها) فقال تعالى : (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) والمعنى أنه قال بعضهم لبعض امشوا واصبروا ، فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد - صلّى الله عليه وسلم - (إن هذا لشيء يراد) .

- قال الرازي رحمه الله تعالى : وفيه - أي الشئ الذي يراد - ثلاثة أوجه :

أحدها : ظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم ليس له سبب ظاهر يثبت أن تزايد ظهوره ليس إلا لأن الله يريده ، وما أراد الله كونه فلا دافع له .

وثانيها : أن الأمر كشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لنا منه .

وثالثها : أن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم ، قال القفال : هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف وكأن معناها أنه ليس غرض محمد صلّى الله عليه وسلم من هذا القول تقرير الدين ، وإنما غرضه أن يستولي علينا فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد

6/ حكى الله تعالى فرية أخرى من افتراءاتهم بعد خروجهم من ذلك المجلس حيث ادعوا أنهم لم يسمعوا أن أحداً من السابقين أنكر عبادة الأصنام : (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) والملة الآخرة هي ملة النصارى فقالوا إن هذا التوحيد الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ما سمعناه في دين النصارى ، أو يكون المراد بالملة الآخرة ملة قريش التي أدركوا آباءهم عليهم ، ثم قالوا : (إن هذا إلا اختلاق) افتعال وكذب ، وحاصل الكلام من هذا الوجه أنهم قالوا نحن ما سمعنا عن أسلافنا القول بالتوحيد ، فوجب أن يكون باطلا ، ولو كان القول بالتقليد حقا لكان كلام هؤلاء المشركين حقا ، وحيث كان باطلا علمنا أن القول بالتقليد باطل .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المحور الثاني : إنكار المشركين أن يرسل الله تعالى رسولاً من البشر ورد الله تعالى عليهم [49] :

قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7) ومَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8) سورة الأنبياء

أولاً : سبب نزولها :

قال ابن كثير رحمه الله : عن ابن عباس- رضى الله عنهما-: لما بعث الله- تعالى- محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا، أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فأنزل الله: أَكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ.. وما شاكلها من آيات .

ثانياً : قال المفسرون : لقد حكى القرآن في مواطن عدة إنكار المشركين لبشرية الرسل ورد عليهم بما يخرسهم، ومن ذلك قوله تعالى: (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى)وقوله: (وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلَّا أَنْ قالُوا، أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا) وقوله تعالى : (ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ، فَقالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنا، فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ).

ثالثاً : جاء دفاع الله تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم ورد على هذه الشبهة المتكررة عبر تاريخ البشر ألا وهي استحالة أن يرسل الله تعالى رسولاً من البشر ، فقال تعالى (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) ، وإليك بيانها :

[49] / انظر فتح الودود ببيان آيات الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم بأحكم الردود – ما ورد في سورة الأنبياء .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الآية الأولى : قوله تعالى (وَما أَرْسَلْنا قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ): أى: وما أرسلنا من قبلك- أيها الرسول الكريم- لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق إلا رجالا مثلك، وقد أوحينا إليهم بما يبلغونه إلى أقوامهم، من نصائح وتوجيهات وعبادات وتشريعات، وقد لقى هؤلاء الرسل من أقوامهم، مثل ما لقيت من قومك من أذى وتكذيب وتعنت في الأسئلة.

فالمقصود من الآية الكريمة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين فيما أثاروه حوله صلى الله عليه وسلم من شبهات.

2/ **قوله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)** المراد بأهل الذكر : علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى. قاله: ابن عباس والحسن والسدى وغيرهم.أى: لقد اقتضت حكمتنا أن يكون الرسول من البشر في كل زمان ومكان، فإن كنتم في شك من ذلك- أيها المكذبون- فاسألوا علماء أهل الكتب السابقة من اليهود والنصارى، فسيبينون لكم أن الرسل جميعا كانوا من البشر ولم يكونوا من الملائكة.

وإنما وجه الله تعالى المشركين لسؤال أهل الكتاب ،لأن المشركين كانوا يستفسرون منهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، أكثر من استفسارهم من المسلمين.

وهذه الجملة الكريمة (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) معترضة بين قوله- تعالى- وَما أَرْسَلْنا.. وبين قوله بعد ذلك: بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ.. للمبادرة إلى توبيخ المشركين وإبطال شبهتهم، لأنه قد احتج عليهم، بمن كانوا يذهبون إليهم لسؤالهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

3/ وفي قوله- تعالى- (إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) إيماء إلى أنهم كانوا يعلمون أن الرسل لا يكونون إلا من البشر، ولكنهم قصدوا بإنكار ذلك الجحود والمكابرة، والتمويه لتضليل الجهلاء، ولذا جيء في الشرط بحرف «إن» المفيد للشك.وجواب الشرط لهذه الجملة محذوف، دل عليه ما قبله. أى: إن كنتم لا تعلمون، فاسألوا أهل الذكر.

الآية الثانية : قوله تعالى (مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ): في هذه تأكيد لهذه الحقيقة وهي كون الرسل من البشر ، والضمير في جَعَلْناهُمْ يعود إلى الرسل، والجسد مصدر جسد الدم يجسد: إذا التصق بغيره، وأطلق على الجسم جسد، لالتصاق أجزائه بعضها ببعض،.أى: وما جعلنا الرسل السابقين عليك يا محمد أجسادا لا تأكل ولا تشرب كالملائكة، وإنما جعلناهم مثلك يأكلون ويشربون ويتزوجون ويتناسلون ويعتريهم ما يعترى البشر من سرور وحزن، ويقظة ونوم.. وغير ذلك مما يحسه البشر.وما جعلناهم- أيضا- خالدين في هذه الحياة بدون موت، وإنما جعلنا لأعمارهم أجلا محددا تنتهي حياتهم عنده بدون تأخير أو تقديم.قال- تعالى-: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ.

فائدة مهمة : قال العلماء وفي الآية دليل على وجوب الرجوع إلى أهل العلم فيما لا يعلم، وعلى أن الرسل جميعا كانوا من الرجال ولم يكن من بينهم امرأة قط.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

إقامة الحجة على مَنْ أنكر اليوم الآخر أو بعض ما يتعلق به

إن التكذيب بالبعث والنشور مسألة خطيرة؛ لأنها تتعلق بمصير الإنسان في الحياة الأخروية، والتي ينال فيها المرء سعادته أو خسارته الأبدية، ولعظم هذا الأمر وخطورته جعله الغزالي من المقاصد الكلية للقرآن .

وقد قسمت الكلام في هذا الموضوع إلى أربعة محاور :

المحور الأول : عظمة الإيمان باليوم الآخر:

المتأمل في الآيات القرآنية يجد أن الله تعالى تحدث عنه بأساليب متنوعة وطرق مختلفة واهتم به اهتماما عظيما وما ذلك إلا لأنه ركن من أركان العقيدة ، وفصل القول فيما يحدث في ذلك اليوم ، وفي الحياة الآخرة من مشاهد ومواقف،وبين مصائر الناس بعد حسابهم ، وأصناف النعيم التي تنتظر الفائزين الناجين ، وما يتعرض له الأشقياء من ألوان العذاب وأنواعه ، ويظهر هذا الاهتمام فيما يأتي[50] :

أولا: ربط القرآن بين الإيمان بالله تعالى وبين الإيمان باليوم الآخر في آيات كثيرة .
كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ

50/ مقال بعنوان (اهتمام القرآن بالحياة الآخرة) موقع ارتقاء .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) .

ثانيا: ورد ذكر اليوم الآخر في القرآن بأسماء مختلفة : تصف في كثير من الأحيان ما يقع فيه من أحداث ، وما يصيب الناس من أهوال ، فهو يوم البعث ، ويوم القيامة ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، ويوم الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم الجمع ، ويوم التغابن ، ويوم الخلود ، ويوم الخروج ، ويوم الحسرة ، ويوم التناد ، ويسمى ذلك اليوم أيضا بالآزفة ، والساعة ، والطامة ، والصاخة ، والحاقة ، والغاشية ، والواقعة ، ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من الإشارة إلى هذا اليوم . . إما بوصفه وتصوير ما يقع فيه كقوله تعالى في سورة الحاقة : **(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ (35) وَلاَ طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ (36) لاَ يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ).

أو بتقريره كحقيقة لا ينبغي الشك فيها وأنه آت لا ريب فيه: **(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌوَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ . زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).التغابن (6-8)**

ثالثا: بين القرآن أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر من العقائد التي جاءت بها الرسالات الإلهية جميعا : فنوح -عليه السلام- يخاطب قومه كما ورد في القرآن: **(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا)** نوح (17-18).

وإبراهيم يدعو ربه قائلا: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) الشعراء (82-83).

وموسى يخطابه ربه سبحانه: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) طه(15-16) .

كما خاطب القرآن في العديد من آياته مشركي العرب مؤكدا لهم حقيقة البعث وما يجري في اليوم الآخر من أحداث .

رابعا: جادل القرآن في كثير من آياته وحاج الذين أنكروا البعث وإمكانية الحياة الآخرة ، واستبعدوا العودة إلى الحياة بعد تحولهم إلى رفات وعظام وتراب ، فقالوا كما أخبر عنهم القرآن: **(أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) ق (3-4)** وهذا سيأتي تفصيله قريباً .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المحور الثاني : أصناف المكذبين بالبعث والنشور ومصيرهم : هي كالآتي[51] :

الصنف الأول: صنف الملاحدة الذين أنكروا وجود الله أصلاً : ومنهم بعض الفلاسفة والشيوعيون الذين يعيشون في هذه الأزمان الذين يقولون: لا إله والحياة مادة، وإذا ناقشتهم على بساط العقل والمنطق تهاووا وسقطوا؛ لأنهم لا يملكون أدلة، وعندما تناقشه عن ساعته التي في يده وتقول له: هذه الساعة ليس لها صانع، يقول لك: مستحيل، تقول له: من صنعها؟ يقول: المهندس، تقول: والمهندس له صانع؟ يقول: لا.

ليس له صانع، تقول له: كيف؟!! أقول إن الساعة ليس لها صانع فلا تصدق، وأقول: إن المهندس الذي صنعها له صانع فتقول لا.

لا صانع له؟ أيهما أشد عقدة: المهندس أم الساعة؟ سبحان الله العظيم! مستحيل أن تكون الساعة من غير صانع، وليس بمستحيل أن يكون إنسان من غير خالق! لا والله **(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون)** الطور:35 .

هؤلاء الملاحدة الذين ينكرون صدور الخلق وحدوثه عن الله سبحانه وتعالى ينكرون النشأة الأولى والثانية أصلاً، وهم منكرون لوجود الله تبارك وتعالى، فهؤلاء لا نقاش معهم.

الصنف الثاني: قوم يعترفون بوجود الله تعالى، ولكنهم يكذبون بالبعث بعد الموت، ومن هؤلاء العرب الذين بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، فإنهم كانوا يقرون بوجود الله، يقول تعالى: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ**

51/ الرد على منكري البعث والنشور - سعد الإدرسي – ملتقى أهل الحديث - بتصرف .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

اللَّهُ) لقمان: (25) فهم معترفون بأنه الخالق لهذه السماوات والأرض، ولكنهم يقولون: (**أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** النمل:(67-68) هذا هو الصنف الذي يؤمن بوجود الله لكنه يكذب بوجود البعث؛ يدعون أنهم يؤمنون بالله ولكنهم يدعون أن قدرة الله عاجزة عن إعادتهم وإحيائهم بعد إماتتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثلة والبراهين والحجج بأنه قادرٌ على البعث والنشور؛ لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

الصنف الثالث: قوم يؤمنون بالبعث لكن على صفة وهيئة تختلف عما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يؤمنون بأساطير وخرافات وضلالات وفلسفات وأفكار ليس يدعمها دليل لا من كتاب ولا سنة، فهؤلاء في حكم المكذبين.

- مصير المكذبين بالبعث يوم القيامة [52]:

ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم صوراً ونماذج من كفرهم وتكذيبهم وذمهم ومقتهم وتهددهم وتوعدهم، يقول الله في سورة الرعد: (**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**) بعد أن ذكر الله في أول السورة جولة في آثار خلق السماوات والأرض قال بعد ذلك: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)قال: وإن تعجب يا محمد فإن ما يثير عجبك هو تكذيبهم بالعبث والنشور بعد أن رأوا آيات الله وقدرته العظيمة في خلق السماوات والأرض: **(وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ).**

52/ السابق

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ثم وصفهم الله فقال عز وجل: (**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ**)أي: هذا جاحد؛ والجاحد لا حيلة معه، هذا أول وصف: (**وَأُولَئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ**) يعني: من العذاب يوم القيامة أن يغلّهم الله بالأغلال في أعناقهم؛ لأنهم غلّوا عقولهم، أي: قيدوها وعاشوا في سجن المادة الضيق ولم يخرجوا إلى عالم الغيب الوسيع؛ العالم الذي ينتظم الدنيا والآخرة، فلما قيدوا عقولهم وغلّوها عذبهم الله بأن غلّهم في الأعناق يوم القيامة: (**وَأُولَئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) هؤلاء المكذبون وصفهم الله بأنهم كفار، وأنهم في الأغلال في جهنم وأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون.

وعندما أوردوا فريتهم: (**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**) الأنعام (29) قال الله لهم مكذباً ورادّاً عليهم: **(وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ)** الأنعام(30)

يعني: بعد البعث : (**قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الأنعام**) (30) يبعثهم الله عز وجل من قبورهم ويقررهم ويقول: أليس هذا بالحق الذي وعدكم به رسلي؟! والذي أنزلته في كتبي وحذرتكم منه؟ قالوا: بلى وربنا.

لا يوجد مجال للتكذيب؛ لأنهم رأوا الأمر رأي العين، رأوا الأمر على حقيقته فقالوا: بلى وربنا؛ يحلفون بالله في مظهر من الضعف والشفقة والتذلل والخضوع، لم يعرفوا الله عز وجل في الدنيا حتى يرحمهم يوم القيامة، ولكن لم يعرفوه إلا حينما أضاعوا الفرصة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

مثلهم مثل الطالب البليد الذي يُكذّبُ بالامتحانات، فهو يشتغل في العام الدراسي من أوله إلى آخره، والطلاب المؤمنون بصدق الإدارة والتعليم يجتهدون، لكن هذا المكذب يقول: لا أحتاج امتحانات.إنها كذب في كذب.من قال لكم بأن هناك امتحانات.

لا يوجد شيء، وعاش طوال السنة وهو يلعب ولا يذاكر، ولا يفتح حتى كتاباً، وفي آخر يوم من العام الدراسي أدخل الصالة وعزلت عنه الكتب والمواد، وقدمت له الأسئلة، ولما رآها وإذا به لا يعرف منها حرفاً واحداً، أما المجتهدون فقد بدءوا يجيبون، وأما هذا اللعاب لا يعرف حتى حرفاً واحداً، فيقول له رئيس اللجنة -ولله المثل الأعلى-: لماذا كذبت بالامتحان، أليس هذا الامتحان حق؟ فيقول: بلى يا سعادة المدير.

يا رئيس اللجنة؛ يريد أن يسترحمه، أي: أخرجني واتركني أنظر إلى الأسئلة! أمهلني أراجع! أمهلني أذاكر! قال الله عز وجل: **(فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)** .

المحور الثالث : الأسباب التي دعت الكافرين لإنكار البعث[53] **:**

1- الشهوة وحب التنعم بملذات الدنيا بلا رقيب ولا حسيب: (وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (الأنعام/29) (إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (المؤمنون/ 37) (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ).(الجاثية/24)

53/ بحث بعوان : الأدلة العقلية للقرآن الكريم في إثبات الخلق والتوحيد والبعث – للأستاذ الدكتور مصطفى عبد المنعم - الأستاذ بكلية الطب – جامعة طيبة المدينة المنورة – (موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) – باختصار.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

كانت الشهوة وحب التنعم بملذات الدنيا بلا رقيب ولا حسيب هي قائدهم في هذا الاعتقاد الفاسد ، فالقيامة معناها الحساب على أعمال الدنيا والتقيد بالقوانين التي سيضعها من سيحاسبك، وهم قطعا لا يحبون من ذلك شيء. ولذلك فالله تعالى الذي خلق الإنسان وركب فيه الشهوة لم يحرمه منها بإطلاق وإنما هداه لما يصلح هذه الشهوة لما ينفعه في الدنيا والآخرة وربط ذلك بعبادة الله تعالى قال سبحانه:

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأعراف/32) فنبه الله تعالى الكافرين أن إيمانهم لا يحرمهم من التمتع بالدنيا بل هو الذي سيضع لهم القوانين التي تجعلهم يتمتعون بها من غير ضرر في الدنيا ثم في الآخرة نعيم مقيم وجنات تجري من تحتها الأنهار وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

2- الشك :(وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) (الجاثية/ 32). إن أمور العقيدة لا تبنى إلا على يقين.. وادعاؤهم (الشك) في أمر يقيني لم يكن ليغني عنهم شيئاً.

ويرد الله تعالى عليهم بدعوة للتأمل في ملكوت السموات والأرض ليحدث اليقين بطلاقة قدرة الله تعالى في الخلق والبعث، قال تعالى (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) (إبراهيم/10)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

3- الإعراض عن دلائل قدرة الله المطلقة في الكون وأنه على كل شيء قدير:
(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (يس/78)

أي من يستطيع ذلك، إعراضاً منهم عن دلائل قدرة الله تعالى، وقياسهم قوة الله على قوتهم بجهلهم وعدم إذعانهم لحقائق الكون. وقد عرض الله تعالى في الآية سبب هذا الزعم الفاسد وهو عدم التفاتهم إلى عظيم صنعة الله في خلقه لهم (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) وهذا النسيان إنما هو إعراضاً منهم عن تلك القدرة في الخلق التي تدحض شبهتهم في قدرة الله تعالى على إعادتهم وبعثهم بعد الموت.

4- التقليد الأعمى للأمم الكافرة التي سبقتهم: قال تعالى: (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) (المؤمنون: آية 81- 83).إنه التقليد المذموم من كل وجه، والذي قام على غير دليل ولا برهان ولا كتابٍ مبين.

5- الجدال باستحالة جمع أجزاء الإنسان بعد تحللها وتشتتها في باطن الأرض:

يدعي المجادلون أن الأجسام بعد موتها تتحلل إلى مكوناتها الأساسية التي قد تغيب في باطن الأرض أو تدخل في تركيب نبات يعود ليأكله حيوان.. إلى آخر تلك السلسلة الجدلية التي قد يفترضها المعاندون المكذبون فيستحيل جمع ذلك المتناثر من عهد آدم إلى قيام الساعة في زعمهم (وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (الرعد/ 5)

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) (سبأ/ 7)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

(وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) (السجدة/10) أي إذا تحللت أجسامنا وتاهت دقائقها في غيابات الأرض، فيكف تجمع لنبعث من جديد؟

والله تعالى يرد عليهم بدليل علمه المحيط سبحانه فيقول تعالى:(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) (ق/4)

والحقيقة أن هذه الآية هي من فيض كرم الله تعالى علينا في كتابه الكريم، حيث يأخذنا في رحلة في ملكوت السموات والأرض نستصحب فيها طلاقة قدرة الله المعجزة التي تحفظ على الإنسان بعد موته مواضع غيابات دقائق جسمه مهما طال العهد ومهما تعقد الأمر. ومن رحمة الله بنا أنه لم يفصل لنا أكثر من ذلك لأن عقل الإنسان قد يقضي الساعات الطوال وهو يتأمل هذه الآية الكريمة التي لا تنقضي عجائبها، فكيف لو زاد التفصيل بما لا تحتمله عقولنا؟

المحور الرابع : الأدلة على حتمية وقوع على البعث والنشور : وهي كثيرة، وإذا طُلب منك دليل فإن لديك من الأدلة ما تقنع به الحجارة فضلاً عن البشر؛ لأن الإيمان بالبعث دل عليه القرآن والسنة النبوية المطهرة .

والقرآن الكريم أقام الأدلة على البعث بمخاطبة العقول السليمة والفطر المستقيم كما خاطب أهل الإيمان ، وإليك قبس من ذلك من خلال هذين القسمين :

القسم الأول : الأدلة التي تخاطب العقل والفطرة على حتمية البعث والنشور :

من تلك الأدلة ما يلي [54]:

54/ السابق – باختصار.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

1- دليل عدم عبثية الخلق: قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ} (المؤمنون / 115).

هذا دليل عقلي.. إن هذا الخلق العظيم لا يمكن أن يكون عبث .. فكيف تكون نهايته إلى تراب.. فيتساوى الصالح والطالح.. القتيل والقاتل.. الظالم والمظلوم.. فيكون الأمر عبث.. بل ويكون مدعاة للفساد في الأرض.. إن عدم العبثية في الخلق تستوجب أن تكون هناك قيامة يحاسب فيها الناس على أعمالهم. أنظر إلى أي جهاز من أجهزة الجسم لتجده ليس بعبث، انظر إلى المخ البشري كيف خلق الله فيه مائة وعشرين مليار خلية عصبية ترتبط كل خلية في المتوسط بنحو عشرة آلاف خلية أخرى في ترابط معجز ليتم الشعور بالإبصار والسمع والشم واللمس وكذلك لتكون هناك قدرة على الكلام والحركة والتفكير والإدراك وتخزين ملايين الكلمات والصور والأسماء والأماكن والروائح والقدرة على تذكرها فور رؤيتها ولو بعد سنين، ومن الناس من يُسَخِرَ ذلك العطاء المبهر في الطاعة ومنهم من يسخره في المعاصي.. منهم الأنبياء والصديقين والشهداء وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي.. ومنهم هتلر وقارون وهامان.. ثم بعد ذلك يموت الإنسان ، وينتهي الأمر، فيتساوي الأخيار والفجار!؟ أليس هذا عبث؟ لقد شنع الله تعالى على من هذا ظنه .

وقال تعالى: (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً)(القيامة / 36).

أي يترك هملاً وهو الذي خلقه الله تعالى بعنايته منذ كان نطفة فعلقة ثم سواه الله تعالى فجعل منه الذكر والأنثى، فإذا كان منذ بداية حياته في عناية الله ورعايته، فكيف يهمل في آخرها؟

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وعقب الله تعالى على هذه الآيه الكريمة {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ} (المؤمنون / 115).

بهذا التعقيب الرائع في قوله سبحانه (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) (المؤمنون / 116).لقد نزه الله تعالى نفسه في أول الآية بقوله سبحانه (فتعالى) فباعد بينه وبين ما يدعون بالباطل، ثم دعانا لاستحضار اسمين من أسمائه الحسنى (الملك الحق) فالملك هو الذي يضع القوانين لا أنتم والحق منزه عن باطلكم وعما تصفون.

2- دليل الخلق الأول:

قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الروم/27)

إن الذي يخلق شيئاً أول مرة يقدر على إعادته.. بل هو على إعادته أقدر. وكلٌ عليه هين سبحانه..وقال تعالى في الرد على المكذب المعاند:(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (يس/78)أي لم يعتبر بخلق الله تعالى له على قدرته على إعادته بعد موته .

وقال تعالى في سورة الحج في رد واضح صريح على من ينكر البعث:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ). (الحج / 5- 7).

لقد استحضر القرآن الكريم سؤال من يشك في البعث **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ)** وجعل الإجابة هو الواقع الذي لا يملك أحد إنكاره من مراحل الخلق المعجز في الأرحام **(فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً)** وتبعها بمراحل حياة الإنسان في هذه الأرض **(ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً)** ويختم الآية بهذا التقرير الحاسم **(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)**. فلا حجة لمعاند أن يتبرأ من دليل يحمله في نفسه من يوم خُلق إلى يوم يموت يشهد لله بأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير.

ويعاود القرآن الكريم التذكير بهذه الحقيقة الدامغة مرة بعد مرة فيقول تعالى:

(وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) (مريم/66- 67)فلماذا ينسى الإنسان خلقه هو مع علمه أنه خلق من شيء لا يذكر.

وقال تعالى: (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ، أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

قَرِيباً) (الإسراء: 49-51).إن الإنسان قد يغفل عن شيئ غائب عنه، ولكن كيف يغفل عن دليل يحمله بين جنبيه طوال حياته.

3- دليل إخراج الحي من الميت والميت من الحي:

قال تعالى: (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**) (الروم/ 19)في الآية دليلان، نتعامل أولاً مع الأول منهما وهو إخراج الحي من الميت والميت من الحي: (**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**). كإخراج الجنين الحي من داخل القشرة الصماء الميتة لبيض الكثير من الكائنات، وإخراج الأشجار والأزهار من حبة صماء لا يبدو عليها أثر الحياة. فهذه الأمور العجيبة تظهر طلاقة القدرة الإلهية وهي دليل عقلي للمتأمل على البعث بعد الموت ولذلك قال تعالى في نهاية الآية الكريمة (**وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**) .

4- دليل خلق السموات والأرض:

قال تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً)** (الإسراء / 97- 99).

وقال تعالى: **(لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)** (غافر/57)

وقال تعالى: (**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**) (يس/81-83)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

لما أخبرنا الله تعالى أن خلق السموات والأرض أكبر من خلقنا، فلا عجب أن يقدر على أن يخلق مثلنا أو يعيد خلقنا أو أن يفعل في ملكه ما يشاء.

القسم الثاني : الأدلة التي تخاطب أهل الإيمان على حتمية البعث [55] :

الدليل الأول :إخبار الله تبارك وتعالى في القرآن بوقوعه: لا أحد أصدق من الله قيلاً، وقد أخبر عز وجل أن البعث والنشور كائن، وهذا من أعظم الأدلة الدالة على وقوع البعث؛ فمن آمن بالله وصدق برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فلا مناص له من الإيمان بما أخبر به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار.

وقد نوع الله تبارك وتعالى في الكتاب الكريم أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس وآكد في القلوب، ففي بعض المواضع من القرآن يخبر الله بوقوع يوم القيامة إخباراً مؤكداً بـ(إن) يقول الله عز وجل: **(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا)** طه (15) ومرة يؤكد بـ (إن، واللام)، يقول جل ذكره: **(وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**) الحجر (85) اللام الداخلة على (**آتية**) لام التوكيد، إن: حرف توكيد ونصب، ومرة يؤكد بـ(ما): (**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ**) الأنعام (134) ومرة بأداة الحصر: **(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ)** المرسلات (7)هذه كلها أساليب في تأكيد عملية الإخبار عن البعث والنشور وأنه كائن لا محالة.

الدليل الثاني: قَسَم الله تبارك وتعالى؛ فيقسم الله على وقوع البعث؛ أنت إذا أخبرك رجل تثق في خبره صدقت خبره، وإذا أكد لك الخبر بأي وسيلة من وسائل

55/ الرد على منكري البعث والنشور - سعد الإدرسي – ملتقى أهل الحديث - بتصرف .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

التوكيد كان الخبر آكد عندك، وإذا أكده لك بالقسم وأنت تعرف أنه رجلٌ صادق بار مؤمن لا يمكن أن يكذب فإن الخبر عندك يأخذ مأخذ المسلمات، فكيف بالله عز وجل يخبر ويؤكد ويقسم على وقوعه، يقول الله تبارك وتعالى: (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ**) [النساء:87]هذا قسم يقسم الله بالذي لا إله إلا هو فيه بنفسه.

ويقسم على وقوعه بما شاء من مخلوقاته، يقول الله عز وجل أول سورة الذاريات : **(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلاتِ وِقْراً * فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**) يعني: إن يوم الدين يوم البعث والنشور لواقع.

ويقسم الله بخمسة أشياء في أول سورة الطور: (**وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ**) [29].

ثم يأمر رسوله بأن يقسم بالله تبارك وتعالى على وقوعه، ويرد على المكذبين فيقول الله تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ**) سبأ (3)

ويقول عز وجل: (**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**) يونس (53) ويقول جل ذكره: (**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**) التغابن (7)

الدليل الثالث : ذمه تعالى للمكذبين في بعض مواضع القرآن ذماً مباشراً، فيقول تبارك وتعالى: (**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**) يونس (45) أي: خاسر لا خير فيه.ما ربح من دنياه إلا العذاب والسخط!.ليته ما

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

خلق!.ليته ما عرف هذه الحياة! لو لم يعرف الحياة لكان في عداد المهملين!.لو كان حيواناً لكان في عداد من يصير تراباً!.لكنه عاش في الدنيا ليعبد الله، ومكنه الله وزوده بوسائل الإدراك؛ العقل والنظر والسمع ولكنه ما استخدم هذه الوسائل فخسر دنياه؛ قال الله تعالى: **(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**)ويقول:(**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**) النمل:(66) أي: عمي عن الإيمان بالله والعياذ بالله.

الدليل الرابع : وكما ذم المكذبين يمدح أهل الإيمان المصدقين جعلنا الله جميعاً منهم؛ يمدحهم ويقول: (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**) آل عمران:7-9]هذا ثناء؛ سماهم الله راسخين في العلم، أي: ليسوا سطحيين؛ لأنه العلم عن الله، علم الكتاب والسنة، ليس علم المادة؛ قد تجد إنساناً عالماً رأسه مثل الجبل في الذرة والفلك والطب والهندسة.وفي كل شيء،من شؤون الدنيا ولكنه في ناحية العلم بالله لا يعرف شيئاً، هؤلاء قال الله تعالى فيهم:(**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**) الروم(7) هؤلاء - والعياذ بالله- ستكون لهم مواقف مخزية وحينها يتمنون أنهم ما عرفوا هذه الحياة.

وربما تجد آخر لا يستطيع أن يقرأ حتى حرفاً واحداً، لكن عنده من الإيمان بالله مثل الجبال.هذا هو العالم؛ لأن الله تعالى يقول: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**) فاطر(28) أي: العلماء به، وبعد ذلك الراسخون في العلم الذين رسخت قلوبهم في العلم بحقائق هذه الحياة حتى عرفوا مصيرهم وعرفوا سر خلقهم ووجودهم، وعرفوا البعث بعد الموت.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

هؤلاء راسخون؛ لأنهم غاصوا في أعماق الحقائق، أما السطحيون الذين عرفوا من الدنيا السطح فقط، فإنهم يعيشون وتفكيرهم في هذه الدنيا فقط؛ في المادة وعناصرها وأجزائها، **الدليل الخامس: من ضمن الأساليب في الإخبار أنه تبارك وتعالى يذكر في القرآن أن وعد البعث صادق، ولا مجال لتكذيبه.**

ويقول سبحانه : **(ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ * فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ)**[هود:103-109]

يقول: لا تخف ولا تشك في هؤلاء الذين يعبدون غير الله؛ إنما يعبدون الشهوات والطواغيت والمادة، وهم سائرون على ما سار عليه أسلافهم من الكفار والمكذبين، ولكن الجزاء عندنا، وسوف نوفيهم نصيبهم غير منقوص.

ويقول سبحانه وتعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً)** [لقمان:33] هذا وعد الله الذي لا يتبدل ولا يتغير أبداً.

ويقول عز وجل: **(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ)** سبأ:(29-30)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ويقول مهدداً ومتوعداً: **(فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)** [الزخرف:83]ويقول جل ذكره: **(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ)** [الذاريات:5]

الدليل السادس: إخباره تعالى عن مجيئه في بعض الأحيان بصيغة الاقتراب، فيقول تبارك وتعالى: **(إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً)** يعني: يوم القيامة **(وَنَرَاهُ قَرِيباً)** [المعارج:6]

ويقول:**(أَتَى أَمْرُ اللَّهِ)** النحل (1) أتى هنا فعل ماضٍ، وعبَّر الله عز وجل بالماضي ليؤكد تحقق وقوعه وقربه وكأنه قد وقع، أَتَى أَمْرُ اللَّهِ أي: البعث والنشور فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)ويقول الله عز وجل: **(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُول الكَافِرُونَ هَذَا يَومٌ عَسِرٌ)** القمر (1-8) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل السادس

مقاصد الشريعة

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملاً .

المبحث الأول : مفهوم مقاصد الشريعة وطرق إثباتها شرعا وعقلا .

المطلب الأول : مفهوم مقاصد الشريعة .

المطلب الثاني : طرق إثبات مقاصد الشريعة شرعاً وعقلاً .

المحور الأول : إثبات المقاصد بالأدلة الشرعية .

المحور الثاني : إثبات المقاصد بالأدلة العقلية .

المبحث الثاني : مقاصد الشريعة عند الغزالي .

المبحث الثالث : مقاصد الشريعة وكيفية حفظها لدين الناس ودنياهم من الكتاب والسنة .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملاً

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى :

القسم السادس : في تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية التَّأهُّب لِلزَّاد، والاستعداد بإعداد السلاح الذي يَدفعُ سُرَّاقَ المنازل وقُطَّاعَها ، وبيانُه :

أن الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله تعالى، والبَدَنُ مَرْكَب، فمن ذَهَل عن تدبير المنزل والمَرْكَب لم يَتِمَّ سفرهُ، وما لم ينتظم أمرُ المعاش في الدنيا لا يَتِمُّ أمرُ التَّبَتُّلُ والانقطاع إلى الله تعالى الذي هو السلوك، ولا يتمُّ ذلك حتى يبقى بدنُه سالماً ونسلُه دائماً، ويَتِمُّ كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما وأسباب الدفع لِمُفسِداتِهما ومُهلِكاتِهما.

وأما أسباب الحفظ لوجودهما: فالأكل والشرب وذلك لبقاء البدن، والمُنَاكَحَةُ. وذلك لبقاء النسل، فقد خُلِقَ الغذاءُ سبباً للحياة، وخُلق الإناث محلاً للحراثة، إلا أنه ليس يختص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين بحكم الفطرة، ولو تُرِكَ الأمر فيه مُهْمَلاً من غير تعريفِ قانونٍ في الاختصاصات لتَهاوَنوا وتقاتلوا، وشَغَلَهُم ذلك عن سلوك الطريق، بل أفضَى بهم إلى الهلاك. فَشَرَحَ القرآنُ قانونَ الاختصاص بالأموال في آياتِ المُبَايَعات والرِّبويَّات، والمُدايَنات، وقَسْمِ المواريث، ومَواجِب النفقات، وقسمةِ الغنائمِ والصدقات، والمُنَاكَحات، والعِتْقِ والكتابةِ والاسْتِرقَاقِ والسَّبي. وعرَّفَ كيفيةَ ذلك التخصيص عند الاتِّهام بالإقراريَّات وبالأيمان والشهادات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأما الاختصاص بالإناث فقد بَيَّنَتْه آياتُ النكاح والطلاق والرجعة والعدة، والخُلعِ والصداقِ والإيلاءِ والظهارِ واللِّعان، وآياتُ مُحَرَّماتِ النَّسَبِ والرَّضاع والمُصَاهَرات.

وأما أسبابُ الدفع لمُفسِداتهما: فهي العقوبات الزاجرة عنها، كقتالِ الكفار وأهل البَغْيِ والحثِّ عليه، والحدودُ والغراماتُ والتَّعزيرات، والكفاراتُ والدِّيَاتُ والقِصاص.

أما القصاصُ والدِّيَات فدفعاً للسَّعي في إهلاك الأنفس والأطراف؛ وأما حَدُّ السرقة وقطع الطريق فدفعاً لما يَستهلِكُ الأموالَ التي هي أسباب المعاش .

وأما حَدُّ الزِّنا واللِّواطِ والقَذْفِ فدفعاً لما يُشَوِّش أمرَ النسل والأنساب، ويُفسد طريق التَّحارُث والتَّناسل .

وأما جهاد الكفار وقِتالهم فدفعاً لما يَعرِض من الجاحدين للحق من تشويش أسباب المعيشة والدِّيانة اللتين بهما الوصول إلى الله تعالى؛ وأما قتال أهل البَغْيِ فدفعاً لما يظهر من الاضطراب، بسبب انْسِلالِ المارِقين عن ضبط السياسات الدينية، التي يَتَوَلاَّها حارسُ السَّالكين وكافلُ المُحِقّين نائباً عن رسولِ ربِّ العالمين، ولا يخفى عليك الآياتُ الواردة في هذا الجنس، وتحتَهُ أسياساتٌ ومصالحُ وحِكَم وفوائد يدركها المتأمل في محاسن الشريعة المبيِّنة لحدود الأحكام الدنيوية، ويشتمل هذا القسم على ما يسمى الحلالُ والحرامُ وحدودُ الله، وفيها يوجد المسك الأذفر، فهذه مَجامع ما تنطوي عليه سُوَر القرآن وآياتُها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

مفهوم مقاصد الشريعة وطرق إثباتها شرعا وعقلا

المطلب الأول : مفهوم مقاصد الشريعة .

المطلب الثاني : طرق إثبات مقاصد الشريعة شرعاً وعقلاً .

المحور الأول : إثبات المقاصد بالأدلة الشرعية .

المحور الثاني : إثبات المقاصد بالأدلة العقلية .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الأول

مفهوم مقاصد الشريعة

من المعلوم أن المفاهيم الشرعية يرجع في تعريفها – عادة – إلى ما كتبه المتقدمون من العلماء ، غير أنه بالنظر إلى البحوث والدراسات الشرعية والأصولية المتقدمة يعز أن تجد تعريفا محددا أو دقيقا للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء أو أغلبهم .

وإن كان من المسلم به أنه لم يكن غائبا عن علمائنا المتقدمين العمل بالمقاصد واستحضارها في اجتهاداتهم وآرائهم [56].

أما بالنسبة للدراسات المعاصرة فثمة تعريفات متعددة [57] :

فقد عرفها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله : (مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها ، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة ، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ، ويدخل في هذا أيضا معاني من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها).

وإذا كان ابن عاشور قد قصر تعريفه هنا على المقاصد العامة للشريعة فإنه في قسم آخر من كتابه " مقاصد الشريعة الإسلامية " ذكر المقاصد الشرعية الخاصة

56/ انظر مقدمة الكتاب .

57/ توظيف المقاصد في فهم القرآن و تفسيره - للدكتور التهامي الوزاني - موقع رياض العلم .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وبين أنها : (الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة) .

أما العلامة علال الفاسي فقد قال في تعريف المقاصد عموما:(المراد بمقاصد الشريعة:الغاية منها،والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها).

الذي يظهر من تعريف الأستاذ علال الفاسي أنه جمع في تعريفه بين مقاصد الشريعة العامة ومقاصدها الخاصة ، ويبدو أن ما انتهى إليه كل من الشيخ ابن عاشور والعلامة علال الفاسي في تعريفهما لمقاصد الشريعة يعد مرجعا لأغلب التعريفات المتداولة بعدهما في بعض الكتابات المقاصدية المعاصرة .

فقد صرح الدكتور أحمد الريسوني بأن تعريفه للمقاصد مبني على التعريفين السابقين ، إذ قال: (وبناء على هذه التعريفات والتوضيحات لمقاصد الشريعة لكل من ابن عاشور وعلال الفاسي وبناء على مختلف الاستعمالات والبيانات الواردة عند العلماء الذين تحدثوا عن موضوع المقاصد ، يمكن القول : إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد)

وأما الدكتور عمر الجيدي - رحمه الله – فقد أخذ بتعريف الأستاذ علال الفاسي بألفاظه حرفيا من غير تنبيه منه على ذلك ، فقد قال: (يراد بمقاصد الشريعة : الغاية منها ، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها)[58].

58/ التشريع الإسلامي : أصوله مقاصده ، للدكتور عمر الجيدي ص : 242.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقد تعرض الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي لتعريف المقاصد في كتابه: "الاجتهاد المقاصدي"،وبعد أن أورد التعريفات السابقة اختارتعريفا له لم يخرج فيه عما أورده باستثناء زيادات يسيرة،إذ قال :

(المقاصد :هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها سواء أكانت تلك المعاني حِكَماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية ، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين)[59].

وخلاصة القول إن هذه التعريفات في جملتها تدور على كون المقاصد تمثل مراد الله في أحكامه وتشريعاته مما فيه مصلحة للمكلفين في المعاش والمعاد .

59/ 3- الاجتهاد المقاصدي : حجيته ، ضوابطه ، مجالاته للدكتور نور الدين بن المختار الخادمي .ص: 52-53.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المطلب الثاني

طرق إثبات مقاصد الشريعة شرعاً وعقلاً

المحور الأول : إثبات المقاصد بالأدلة الشرعية .

لقد اشتملت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة على بيان كثير من مقاصد الشريعة ولهذا ذكر كثير من العلماء رحمهم الله تعالى أن باستقرائهم علموا أنها جاءت لمصالح العباد ودفع المفاسد عنهم.

قال العلامة أبو إسحاق الشاطبي: "والمعتمد إنما هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد" [60]

وقال العلامة ابن القيم : "القرآن وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مملوءان من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح وتعليل الخلق بهما والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الأحكام ولأجلها خلق تلك الأعيان ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها ولكن يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة" [61]

ولا شك أن ذكر هذه الأدلة لا يتسع له مثل هذا البحث وهي كثيرة وفيما يلي أذكر بعض الطرق والأساليب التي جاءت نصوص القرآن والسنة بالاستدلال عليها.

60/ الموافقات 4/2.

61/ مفتاح دار السعادة – لابن القيم - ص 408

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

الطريقة الأولى: التنصيص على بعض مقاصد الشريعة ؛وذلك مثل قول الله تعالى بعد آية الوضوء:

1-(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) سورة المائدة (6)

2-ومثل قول الله تعالى: (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) سورة البقرة (183).

3-وقول الله تعالى: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)سورة العنكبوت (45)

4-وقوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) سورة الحج (39)

5-وقوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) سورة البقرة (179)

الطريقة الثانية : إخبار الله تعالى في كتابه أنه حكيم لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، وكون الله تعالى حكيماً يقتضي أنه تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكم بالغة لأجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا في مواضع لا تكاد تحصى ولا سبيل إلى ذكر كلها وأذكر بعضها فيما يلي[62]:

1-قال الله تعالى: {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة} سورة النساء (113).

62/ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص 280، ومقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية - ص/107.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

2-قال الله تعالى: {قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم}. سورة البقرة (32).

3-قال الله تعالى: {تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم} سورة الزمر (10)

4-قال الله تعالى: {ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم} سورة البقرة آية (129).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في وجه الاستدلال بهذه الآيات على إثبات مقاصد الشارع: " لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلاً إلى الغايات المحمودة والمطالب النافعة فإذا كان المتكلم به لم يقصد مصلحة المخاطبين ولا هداهم ولا إيصالهم إلى سعادتهم ودلالتهم على أسبابها وموانعها ولا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة ولا تكلم لأجلها ولا أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجلها لم يكن حكيماً ولا كلامه حكمة" [63]

ولذلك نفى الله تعالى أن يكون قد فعل شيئاً عبثاً قال الله تعالى: {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين وما خلقناهما إلا بالحق} سورة الدخان آية (39-38)

الطريقة الثالثة : اتصافه سبحانه وتعالى بالرحمة وأنه أرحم الراحمين وأن رحمته وسعت كل شيء "وذلك لا يتحقق إلا بأن تقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم وبما أمرهم به فلو لم تكن أوامره لأجل الرحمة والحكمة والمصلحة وإرادة الإحسان إليهم لما كانت رحمة ولو حصلت الرحمة لكانت اتفاقية لا مقصودة وذلك لا يوجب أن

63/ شفاء العليل – لابن القيم - ص (380)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

يكون الآمر سبحانه أرحم الراحمين فتعطيل حكمته والغاية المقصودة التي لأجلها يفعل إنكار لرحمته في الحقيقة وتعطيل لها" [64]

قال الله تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء}[59]. سورة الأعراف (156)

وقال الله تعالى: {ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين} سورة المؤمنون (109)

وأيضاً فقد أخبر الله تعالى أنه ما أرسل رسوله إلا رحمة للعالمين فقال: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} سورة الأنبياء (107)

قال الآمدي: "فلو خلت الأحكام عن حكمة عائدة إلى العالمين ما كانت رحمة بل نقمة لكون التكليف بها محض تعب ونصب" [65]

الطريقة الرابعة: إخباره سبحانه وتعالى أنه فعل كذا وكذا وأنه أمر بكذا وكذا [66]

أي بأي مسلك من مسالك العلة المعروفة في أصول الفقه وذلك كثير في آيات كثيرة، قال الإمام الشاطبي: "وأما التعاليل لتفاصيل الأحكام في الكتاب والسنة فأكثر من أن تحصى" وذلك مثل:

64/ شفاء العليل - لابن القيم ص 406.

65/ الإحكام في أصول الأحكام 286/3.

66/ شفاء العليل لابن القيم ص 380، ومقاصد الشريعة الإسلامية - وعلاقتها بالأدلة الشرعية ص/108.والموافقات 4/2.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

1-قول الله تعالى: {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} سورة النساء (165) .

2-وقول الله تعالى: {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون} سورة المائدة (6) .

المحور الثاني : إثبات المقاصد بالأدلة العقلية :

لقد استدل العلماء رحمهم الله تعالى على إثبات المقاصد بالأدلة العقلية وهي كثيرة وأذكر فيما يلي بعضها:

1-"أن فعل الحي العالم الاختياري لا لغاية ولا لغرض يدعوه إلى فعله لا يعقل، بل هو من الممتنعات، ولهذا لا يصدر إلا من مجنون أو نائم أو زائل العقل؛ فإن الحكمة والعلة الغائية هي التي تجعل المريد مريداً، فإنه إذا علم بمصلحة الفعل ونفعه وغايته انبعث إرادته إليه، فإذا لم يعلم في الفعل مصلحة ولا كان فيه غرض صحيح ولا داع يدعوه إليه فلا يقع منه إلا على سبيل العبث هذا الذي لا يعقل العقلاء سواه، وحينئذ فنفي الحكمة والعلة والغاية عن فعل أحكم الحاكمين نفي لفعله الاختياري في الحقيقة وذلك أنقص النقص" [67]

2-أن تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل إما أن يكون لعدم علم الفاعل بها أو تفاصيلها وهذا محال في حق من هو بكل شيء عليم، وإما لعجزه على تحصيلها

67/ شفاء الغليل لابن القيم ص 422.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وهذا ممتنع في حق من هو على كل شيء قدير، وإما لعدم إرادته ومشيئته الإحسان إلى غيره وإيصال النفع إليه وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين.[68].

3-أن مجرد الفعل من غير قصد ولا حكمة ولا مصلحة يقصده الفاعل لأجلها لا يكون متعلقاً للحمد فلا يحمد عليه حتى لو حصلت به مصلحة من غير قصد الفاعل لحصولها لم يستحق الحمد عليها، بل الذي يقصد الفعل لمصلحة وحكمة وغاية محمودة وهو عاجز من تنفيذ مراده أحق بالحمد من قادر لا يفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لقصد الإحسان، والرب سبحانه وتعالى قد ملأ حمده السماوات والأرض وما بينهما وما بعد ذلك[89].[69]

68/ المرجع نفسه ص 413

69/ المرجع السابق ص 442.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

مقاصد الشريعة عند الغزالي

لما كان للغزالي دورا مهما وبارزا بل ورائدا متقدما وإماما مقتدى به في ترسيخ أسس مقاصد الشريع فقد صدرت عدة دراسات في علمه المقاصدي وتفعليه وفق النصوص الشرعية دراسة واسنباطا لكي يتسفيد منه الدارسون للفقه وأصوله[70] .

وقد اخترت في هذا المبحث لتوضيح مقاصد الشريعة عند شيخنا أبي حامد الغزالي أن أنقل كلاما للباحث الدكتور : محمد كمال الدين إمام : لما فيه من الاختصار مع سهولة العبارة وهو ما انتهجناه في كتابنا هذا ، قال الدكتور[71] :

صلة الإمام "الغزالي" بالمقاصد لا يستوعبها إضافة تقسيم، أو ابتكار تعريف، بل إنه جهد المؤسّس لمنهج يُنسب إليه، وطريق لا يُعرف عند سواه، فمن زاوية التأسيس يعلن «الغزالي» أن أدلة الأحكام أربعة هي الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع،

70/ من تلك الدراسات :

1 - الفكر المقاصدي عند الغزالي - محمد عبدو جامعة محمد الخامس الرباط 1996م بإشراف الدكتور أحمد الريسوني .

2 - مقاصد العقائد عند الغزالي للباحث السابق وبإشراف الريسوني أيضاً .

3 - مقاصد الشريعة الإسلامية عند الغزالي بإشراف أ . د محمد بن حمد بن محمود الرحيل الغرايبة - جامعة مؤته - الأردن .

71/ بحث بعنوان المقاصد قبل الشاطبي: قراءة في التراث الفقهي - د. محمد كمال الدين إمام - موقع مجلة الإحياء .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ودليل العقل، وهذه قفزة نوعية ليس في مجال ترتيب الأدلة الشرعية فحسب، وإنما في تحرير النزاع حول مكانة العقل في البناء الأصولي من مفكر يقود المدرسة الأشعرية، أما من زاوية الطريقة فالمعنى عنده قبل الحرف، يقول الغزالي: "اعلم أن كل من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك، وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه، ومن قرر المعاني أولاً في عقله، ثم أتبع المعاني الألفاظ، فقد اهتدى" .

والعقل عنده لا يضاد النقل ولا يحاربه؛ لأن أشرف العلوم عنده ما ازدوج فيه العقل والسمع، واصطحب فيه الرأي والشرع، "فقد تناطق قاضي العقل، وهو الحاكم الذي لا يُعزل، وشاهد الشرع، وهو الشاهد المزكى المعدّل.. والعقل أشرف الأشياء؛ لأنه مركب الديانة، وحاصل الأمانة"؛ فالعقل والشرع عند الغزالي يتعاضدان على إدراك الحق ولا يمكن أن يكذب أحدهما الآخر والمكتفي بأحدهما عن الآخر ،إما جاهل وإما مغرور، فالمكتفي بالشرع عن العقل جاهل، والمكتفي بالعقل عن الشرع مغرور".

ومَدخلُنا إلى المقاصد عند "الغزالي" من ثلاثية تكوّن المفهوم المقاصدي، من وجهة نظرنا، وهي التعليل، والمصلحة، ومآلات الأفعال، وهذه العناصر الثلاثة تتحرك في تراث الغزالي الأصولي كله، وهو يتجاوز سبعة مؤلفات، لا تتعارض فيها المصطلحات الثلاثة، ولا تخطئها عين الراصد، وخبرة المدقق.

يقول الغزالي في تعليل مجمل أحكام الشريعة: "عرفنا من أدلة الشرع أن الله تعالى ببعثه الرسل وتمهيد بساط الشرع، أراد صلاح أمر الخلق في دينهم ودنياهم"، والتعليل عند الإمام الغزالي لا يُفرِّق - عند التحقيق - بين العبادات والمعاملات؛ لأنه يعتمد المقدمات العقلية .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يقول الغزالي: "إذا ورد حكم احتمل أن يقال: إنه معلل بسبب خفي يستأثر بدركه الشارع ، ولا يطلع عليه، والآخر أن يقال: إنه معلل بالمعنى المناسب فلا يتحقق العجز، فيغلب على الظن أنه اتبع المعنى الذي ظهر" هذا ما يقوله الغزالي في "شفاء العليل"، وهو على إيجازه دقيق، إلا أن الإمام الغزالي، حرصًا على التعليل المقاصدي، يعود إليه شارحًا في "إحياء علوم الدين" عندما يقسم واجبات الشرع إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول : ما كان تعبدًا محضًا، لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه، وذلك كرمي الجمرات؛ إذ لا حَظَّ للجمرة في وصول الحصى إليها، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل، ليظهر العبد عبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى، لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه، ويدعوه إليه، فلا يظهر به خلوص العبودية؛ إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر، وأكثر أعمال الحج كذلك.

القسم الثاني : المقصود منه حَظ معقول، ولا يقصد منه التعبد، كقضاء دَين الآدميين، ورد المغصوب، فلا يعتبر فيه قصده ونيته، ومتى وصل الحق إلى مستحقه بأخذ الحق، أو ببدلٍ عند رِضاه، تأدى الواجب، وسقط خطاب الشارع.

القسم الثالث : هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعًا، وهو حظ العباد، وامتحان المكلَّف بالاستعباد، والزكاة من هذا القبيل، فحظ الفقير مقصود في سَد الخلة، وهو جلي سابق إلى الأفهام، وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود الشرع، وباعتباره صارت الزكاة قرينة للزكاة والحج في كونها من مبادئ الإسلام.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إن مساهمة الإمام "الغزالي" في التأسيس المقاصدي كبيرة، بدءًا من تعريفٍ أصبح تقليدًا في العلم يصعب تجاوزه، ومادة حوار سال من أجلها مِداد كثير، وتدور نظرية المقاصد عند الغزالي حول معنى الحفظ وهو معنى مقاصدي أصيل يحسن استيعابه وتدارسه والبناء عليه.

يقول الغزالي: "نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، **ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم وما لهم**، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة".

والمصلحة هنا ليست هي المناسب المرسل الذي يختلف الأصوليون في كونه دليلاً، بل هي مقصد الشارع الذي يجد حجيته العقلية في "القطع"، وحجيته النقلية في مجمل "نصوص الشرع"، ولعل هذا التحليل يدفعنا إلى الفصل بين المقاصد التي يُعلل بها الدليل، والمقاصد التي يستدعيها التكميل، فالمقاصد التي يوجبها الشرع ويقتضيها العقل تتعلق بالضروري الذي إذا اختل حفظه ضاعت مصالح الدين والدنيا، والضرورات خمس هي **الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال**، وقد يُناقَش الإمام الغزالي في هذا الحصر بين الحذف والإضافة، ولكن نظرية الحفظ المقاصدي ترتبط عضويًا برتبة الضروري باعتبار قوتها وأيضًا باعتبار هيمنتها، فهي نظام وأحكام، نظام يستحيل المنازعة في كلياته وموجباته، وأحكام تستجيب تفاصيلها "للتقصيد" الجزئي الذي هو بطبيعته ظني، أبواب مراجعته مفتوحة، ولكن مرجعيته في النسق الكلي ثابتة وقطعية. وهو ما عبّر عنه الإمام "الغزالي" بقوله: "**تحريم تفويت هذه الأصول الخمسة، والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملّة من الملل وشريعة من الشرائع أريد بها إصلاح الخلق**".

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهكذا يصبح حفظ الكليات الخمس أو المصالح الضرورية هي جوهر نظرية المقاصد في تراث الإمام "الغزالي" وهو حفظ لا يقبل المعارضة والرد لأنه "قد علم، كما يقول «الغزالي»، على القطع أن حفظ النفس والعقل والبضع والمال مقصود في الشرع» وهو حفظ ضروري لصيانة الكلية الأولى وهي «الدين» الذي يستوعب الإسلام والمسلمين» وقد عرفنا ذلك، بصياغة الغزالي، لا بنص واحد، بل بتفاريق أحكام واقتران دلالات لم يبق معها شك في أن حفظ خطة الإسلام ورقاب المسلمين، أهم مقاصد الشرع من حفظ شخص معين في ساعة أو نهار". والشخص هنا إنسانية ممتدة يتسع مفهومها للنفس والعقل والنسل والمال، **فأصل شجرة المقاصد الشرعية حفظ الدين وثمرتها وجوب كل ما يتعلق بالنفس والعقل والنسل والمال كونًا وإيجادًا، وتحريم ما يضاد ذلك إفسادًا.**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

مقاصد الشريعة وكيفية حفظها لدين الناس ودنياهم من الكتاب والسنة

في هذا المبحث نريد أن نعطي القارئ الكريم صورة تفصيلية لمقاصد الشريعة وكيف أنها جاءت لحفظ الدين والدنيا بل ذلك من أهم مهمات الشريعة الإسلامية بل والشرائع السابقة أيضا ، وكل هذا سيأتي مبيناً ومدلَّلا عليه من الكتاب والسنة ، لكي تتضح الصورة في ذهنه وليعلم عظمة الشرع الحنيف فيطمئن قلبه إلى أحكامه وتشريعاته في زمن كثر فيه المرجفون والمشككون وأصحاب الهوى .

والغزالي هو من قام ببيان ذلك لكن دون الإشارة إلى النصوص كما أثبتناه في تمهيد هذا الفصل مجملاً وكما سيأتي نقله متفرقاً في مواضعه من هذا المبحث ولكن لا بأس من نقل طرفاً منه ليعرف القرائ أين مبدؤه ومنتهاه قال رحمه الله :

(وأما أسباب الحفظ لوجودهما: فالأكل والشرب وذلك لبقاء البدن، والمُنَاكَحَةُ. وذلك لبقاء النسل، فقد خُلِقَ الغذاءُ سبباً للحياة، وخُلق الإناث محلاً للحراثة، إلا أنه ليس يختص المأكول والمنكوح ببعض الآكلين بحكم الفطرة، ولو تُرِكَ الأمر فيه مُهْمَلاً من غير تعريفِ قانونٍ في الاختصاصات لتَهاوَنوا وتقاتلوا، وشَغَلَهُم ذلك عن سلوك الطريق، بل أفضَى بهم إلى الهلاك)

إلى أن قال (وتحتَهُ أسياساتٌ ومصالحُ وحِكَم وفوائد يدركها المتأمل في محاسن الشريعة المبيِّنة لحدود الأحكام الدنيوية، ويشتمل هذا القسم على ما يسمى الحلالُ والحرامُ وحدودُ الله، وفيها يوجد المسك الأَذفر، فهذه مَجامع ما تنطوي عليه سُوَر القرآن وآياتُها).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

هذا وقد قسمت هذا المبحث إلى محورين [72]:

المحور الأول : أنواع المقاصد الشرعية: هي ثلاثة أنواع:

الأول: المقاصد الضرورية التي لا بد منها، لا يمكن للبشر أن يعيشوا بدونها.

النوع الثاني: المقاصد الحاجية.

والنوع الثالث: المقاصد التحسينية.

أما بالنسبة للنوع الأول وهو المقاصد الضرورية، فإن تعريف الضروريات هو: ما لا بد منه في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت الحياة أصلاً.

وكذلك مقاصد الآخرة، مقاصد الدين تصبح بدون الضروريات فوت النجاة في الآخرة وفوت النعيم، والرجوع بالخسران المبين.

فإذن ما تقوم عليه حياة الناس، ولابد منها لاستقامة مصالحهم الضروريات، الأشياء التي إذا فقدت اختل نظام الحياة الضروريات، الأشياء التي لا تستقيم حياة الناس بدونها، وتعم الفوضى والمفاسد هذه الضروريات.

يدل على ذلك الاستقراء والدراسة والبحث في النصوص الشرعية والتأمل، بأن هذا الشرع جاء لتحقيق مصالح الناس الضرورية والحاجية والتحسينية، وأن الأحكام

72/ بحث بعنوان (الضروريات الخمس في مقاصد الشريعة) – موقع الشيخ محمد صالح المنجد – بتصرف واختصار

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

كلها شرعت لخدمة هذه الثلاثة، وما من حكم شرعي إلا قصد به تحقيق أحد هذه المصالح أو أكثر، بحيث يكفل التشريع تحقيق المصالح بأقسامها الثلاثة.

وتتبين أهمية هذه الضروريات الخمس في كون هذا الوجود مبني عليها، كل الكون، مصالح الدين مبنية على المحافظة على الأمور الخمسة المذكورة، فإذا اعتبر قيام هذا الوجود الدنيوي مبنياً عليها، حتى إذا انخرمت لم يعد للدنيا معنى، وكذلك الأمور الأخروية لا تقوم إلا بها، فلو عدم الدين عدم ترتب الجزاء المرتجى، يعني مصالح الآخرة كلها تروح إذا عدم الدين.

ولو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين والتكليف، ولو عدم النسل لم يكن للبشر المكلفين بقاء واستمرار، ولو عدم المال لم يبق لهم عيش ولا قوام.

المحور الثاني : أقسام المقاصد الضرورية، وكيفية حفظها:

لقد تبين مما سبق أن مقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم، أن يحفظ عليهم أنفسهم، أن يحفظ عليهم عقولهم، أن يحفظ عليهم نسلهم، أن يحفظ عليهم أموالهم.

كل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة.

والآن إليك بيان ما جاءت به النصوص وما بينته الشريعة من أحكام لحفظ هذه المقاصد باختصار:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أولاً : كيفية حفظ الدين : وهو أولها، أكبر الكليات الخمس وأرقاها، لأن الغاية التي خلق الخلق لها هو هذا، الدليل؟ قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**) [الذاريات: 56]، وضياعه ضياع بقية المقاصد.

لماذا يقدم حفظ الدين على كل شيء؟ لأن ضياع الدين ضياع بقية المقاصد، وخراب الدنيا بأسرها، وقد شبه الله حال الأمم التي خلت من الدين الصحيح بالأموات، وشبه الدين بالحياة للأمم، قال تعالى: (**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [الأنعام: 122].

لذا فقد شرع الله من الوسائل ما يتمم به حفظ الدين، ومن ذلك:

1/ **لحفظ الدين شرع الله أركان الإيمان وأركان الإسلام**، من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، بعد النطق بالشهادتين. فإذن لو قلت: حفظ الدين بإقامته، ومنع زواله واختلاله. كيف تكون الإقامة؟ بإقامة الشرائع، بأداء العبادات.

2/ **الدعوة إليه**، لأنا لا يمكن أن نتصور قيام الدين وانتشار الدين، وحفظ الدين في نفوس الخلق بدون دعوة إليه، وبيان محاسنه، وتوضيح أحكامه وآدابه، وكشف الشبهات عنه، وفي ترك الدعوة تهديد لوجود الدين، وتشويه لحقائقه، وطمس لمعالمه.

فإذن الدعوة للدين هذه مهمة جداً في حفظ الدين، لأنها تثبته، وترسي قواعده، وتبين حقائقه، وفيها حماية له ودفاع عنه، يعني فيه رد شبهات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فالدعوة إلى الله من أعظم الوسائل وأنفعها لحفظه واستمراره، ولهذا جاء الأمر بها، ورتب على القيام بها أجر عظيم، والتفريط بها فيه وزر كبير، قال تعالى:(**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**) [آل عمران: 104].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالمرصدون للعلم، عليهم للأمة حفظ علم الدين وتبليغه، فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ**) [البقرة: 159].

قال: "فإن ضرر كتمانهم قد تعدى إلى البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم"، (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ**) [البقرة: 159].

يدخل في اللاعنين البهائم؛ لأن البهائم تتضرر من كتمان العلم؛ لأنه يقع به الفساد في الأرض، ويترتب عليه قحط المطر، وفساد الزروع والثمار: (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**) [الروم: 41]. فتتضرر البهائم فتلعن الكاتمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كما أن معلم الخير يصلي عليه الله، وملائكته، ويستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في جوف البحر، والطير في جو السماء" [73].

73/ مجموع الفتاوى – لابن تيمية (187/28)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقد ذكر العلماء في كتب الأحكام السلطانية، "أن من أوجب الواجبات على الحاكم المسلم: حفظ الدين على أصوله المستقرة، كما تركها محمد صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة وبين له الصواب، وأخذه بما يلزم من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل" [74]

ويدخل في الدعوة إلي الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، النهي عن المنكر، لأن الأمر بالمعروف من جهة الإقامة، والنهي عن المنكر من جهة الحفظ من الاختلال، وهذا فيه منع انتقاص شيء من الدين النهي عن المنكر: من رأى منكم منكراً فليغيره [رواه مسلم: 2269].

3/ تحكيم الدين في الحياة : لا بد أن يحكم، فيسلط الدين على الحياة، فمثلاً :ما هو القانون الذي يسري بين الناس؟ الشرع. وعند الاختلاف يرجعون إلى ماذا؟ المحاكم والقضاة الشرعيين.قال تعالى: (**وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**)[المائدة: 49-50].

فإذن لا يكفي حتى مجرد جعل محاكم وقضاة، لابد الناس يسيرون بالشرع، يسيرون، يساسون، يفرض الشرع عليهم، ومن لوازم ذلك جعل القضاة والمحاكم الشرعية. لكن ما هي القوانين؟ يسيرون بالشرع.

74/ الأحكام السلطانية الماوردي : 26/1 . (نقلا عن موقع محمد صالح المنجد)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

4/ **الجهاد في سبيل الله، لحماية جناب الدين**، فيكسر الطغاة الذين يصدون عن سبيل الله، يكسر الطغاة الذين يحولون بين الناس وبين اعتناق دين الله، يكسر الطغاة الذين يكرهون المؤمنين على الكفر، فشرع الله الجهاد لحماية الدين، وحتى تزول الفتنة فتنة الشرك والكفر قال تعالى: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)** [الأنفال: 39].

5/ **حفظ الدين من الاختلال، بإقامة حد الردة**،فحد الردة من الإجراءات الشرعية العظيمة، التي جاءت لحفظ الدين من الزوال والاختلال، وهو حد الردة لضمان عدم التلاعب بالدين، قال عليه الصلاة والسلام:**(من بدل دينه فاقتلوه)** [رواه البخاري: 6922]، فقتل المرتد يثبت غيره، ويمنع شره.

وقد كان بعض أهل الكتاب قد تواصوا فيما بينهم، أن يدخلوا في الدين في أول النهار، ثم يرتدوا عنه في آخر النهار تشكيكاً وطعناً، فقال الله تعالى: **(وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** [آل عمران: 72] خطة ليرجع المسلمون عن دينهم. فسد الباب بحد الردة، الدين ليس بوابة تدخل وتخرج، إذا دخلت وخرجت فِحد الردة.

6/ **الاجتهاد في رد البدع:** رد البدع له علاقة بالنهي عن المنكر، وله علاقة بالجهاد، لأن الجهاد ضد أهل البدعة هو نهي عن المنكر لأن البدعة داخلة في المنكر.

وقد اعتنى العلماء عناية خاصة بهذه المسألة ، قضية معالجة البدع، لأن النصوص الشرعية فيها شديدة جداً لخطورة البدعة: كحديث **(فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)** [رواه الطبراني في الكبير: 8521، وصححه الألباني في الصحيحة: 2735].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وحديث (**أبى الله أن يقبل من صاحب بدعة توبة حتى يدع بدعته**) [رواه ابن ماجه: 50، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة50].

ولذلك عمر رضي الله عنه لم يتجرأ أحد في عهده أن يرفع رأسه ببدعة، لأنه لما واحد رفع رأسه ببدعة خفضه عمر بجريد النخل، ضل يضربه على رأسه، حتى قال: حسبك يا أمير المؤمنين ذهب الذي في رأسي. خلاص، هذا بالنسبة لحفظ الدين، نأتي إلى حفظ النفس.

ثانياً : حفظ النفس : من أهم الضرورات بعد حفظ الدين، جعل له الشرع تدابير كثيرة في حفظه، وفي منع زواله:

1/ لا بد لحفظ النفس من تناول المطعومات والمشروبات، ولا يجوز الإضراب عن الطعام، الإضراب عن الطعام المفضي للهلاك حرام، قال تعالى: (**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**) [الأعراف: 31]، (**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**) [النساء: 29].

2/ الترخيص في تناول الطعام المحظور في حال الضرورة: (**فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ**) [البقرة: 173]، بل يجب عليه أن يأكل، إذا كان بدون الأكل من الميتة يموت، فيجب عليه أن يأكل بقدر ما يبقيه حياً.

قال شيخ الإسلام: "كذلك أكل الميتة والدم ولحم الخنزير يحرم أكلها عند الغنى عنها، ويجب أكلها بالضرورة عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء.

قال مسروق: "من اضطر فلم يأكل حتى مات دخل النار ،وذلك لأنه أعان على نفسه -يعني على إزهاقها- بترك ما يقدر عليه، من الأكل المباح له في هذه الحال،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

فصار بمنزلة من قتل نفسه".[الفتاوى الكبرى: 447/1]. الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

3/ إلزام الآباء برعاية الأبناء والإنفاق عليهم، فالابن الرضيع، بدون أكل ولا شرب يموت، هؤلاء صغار ما يستطيعون أن يوفروا لأنفسهم طعاماً بدون إنفاق عليهم يهلكون. كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت [رواه أحمد: 6495، وحسنه الألباني في الصغير: 8610]، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته [رواه البخاري: 7138، ومسلم: 1829].

4/ تشريع الرخص لحماية النفس : مثلاً إفطار الحامل والمرضع: لحديث (إن الله وضع عن المسافر نصف الصلاة والصوم، وعن الحبلى والمرضع) [رواه أبو داود: 2410 والترمذي 715، وصححه الألباني في المشكاة: 2025]. رواه أبو داود والترمذي، وهو حديث صحيح.

5/ يعذر في ترك الجمعة والجماعة الخائف على ضياع نفسه، في حالات القصف، لا يذهب للجمعة والجماعة في حالات القصف.

6/ الشريعة حرمت العدوان على النفس: **(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً)** [النساء: 93]. القصاص في النفس والأعضاء: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ [البقرة: 179].

ويدخل في ذلك : تشريع دفع الصائل. ما هو الصائل؟ المعتدي، فشرع دفعه ولو بقتله، حماية للنفس، سواءً كان المعتدي إنساناً أو حيواناً، قال عليه الصلاة والسلام: (من قُتل دون دمه فهو شهيد) [رواه البخاري: 2480، ومسلم: 141].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

وقد نقل الإمام الصنعاني: الإجماع على أن من شهر على آخر سلاحاً ليقتله فدفع عن نفسه فقتل الشاهر –الذي هو الصائل- أنه لا شيء عليه. [سبل السلام: 262/3]. سبل السلام.

ويدخل فيه : النهي عن كل ما فيه إضرار أو إيذاء للنفس، كما جاء في حديث: لا ضرر ولا ضرار [رواه أحمد: 2865، وصححه الالباني في الارواء: 2653].

كذلك نجد منع الانتحار، وحتى أن أهل الفضل والعلم لا يصلون على المنتحر، ردعاً لأمثاله ممن يريدون الانتحار: وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يعني: قتل النفس، أن يقتل نفساً. عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً [النساء: 29-30].

ثالثاً : حفظ العقل: الذي ميز الله به هذا الإنسان، وجعل العقل مناطاً للتكليف.والعقل جزء من النفس، نجد أن الشرع قد جاء بما يكفل الحفظ لهذه النعمة الإلهية العظيمة، وشرع تدابير لإبقائه، وتدابير لمنع زواله.

1/ أمر الشارع الحكيم بطلب العلم والتدبر والتفكر والتأمل، لتنمية وتغذية وتوجيه العقل: (**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**) [النساء:83]، (**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) [آل عمران:191]، (**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**) [النساء:82].

وحديث (**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، إذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**) [رواه البخاري: 7352، ومسلم: 1716]. رواه البخاري ومسلم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فتنمية العقل وتغذيته بالتعلم، والاجتهاد، والاستنباط، والتفكر، والتدبر، والتأمل، والمدارسة، تنمية،

2/ تحريم تعاطي المسكرات والمخدرات : فنجد أن الشرع حرم كل ما يفسد العقول ويذهبها، فتحريم الخمر معروف بالأدلة، وما هو أسوأ من الخمر، من المخدرات، وكل ما فيه إتلاف للعقل، وإتلاف لخلايا الدماغ.أشياء تتعاطى تؤدي إلى تلف خلايا الدماغ، هذه حرام.

3/ منع العقل من الاختلال، مثلاً منع التقليد الأعمى، منع انحراف العقل حتى من جهة التفكير، منع انحراف العقل، التقليد بغير بينة:(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**) [البقرة: 170].

رابعاً : حفظ النسل: الذي هو بقاء النوع الإنساني بواسطة التناسل؛ لأن الشرع يريد استمرار المسيرة البشرية. فنجد أنه شرع طرقاً للمحافظة على النسل، منها :

1/ **النكاح والترغيب فيه:** يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج [رواه البخاري: 5066، ومسلم: 1400]، وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [النور: 32]، فشرع الزواج، وشرع تزويج الفقراء والأيامى.

2/ **تربية الأولاد ورعاية الأسرة**، وأمر بحسن اختيار الزوج والزوجة: تنكح المرأة لأربع [رواه البخاري: 5090، ومسلم: 1466]، إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه [رواه الترمذي: 1084، وحسنه الألباني في المشكاة: 3090].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ويدخل فيه الأمر بحسن العشرة بين الزوجين، الأمر برعاية الأهل: **(قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)** [التحريم: 6].

3/ **تحريم الزنا ومقدمات الزنا: (وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى)** [الإسراء: 32]. هذه منع الزنا ومقدمات الزنا، وَلا تَقْرَبُوا ولم يقل: لا تزنوا، وَلا تَقْرَبُوا .

فإذن حتى مقدمات الزنا التي تقرب تؤدي للوقوع ممنوعة، كالنظر، والتقبيل، إلى آخره. كما في الحديث **(يا شباب قريش احفظوا فروجكم، لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه فله الجنة)** [رواه الحاكم: 8062، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: 2410]. رواه الحاكم وحسنه الألباني.

ولذا شرع الاستئذان: **(لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا)** [النور: 27]. لئلا يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة.

ويدخل فيه : تحريم التبرج : فهو إجراء شرعي لحفظ النسل، لأن التبرج يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة: وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى [الأحزاب: 33]، صنفان من أهل النار لم أرهما، نساء كاسيات عاريات [رواه مسلم: 2128].

4/ تشريع حد الزنا: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) [النور: 2]. وتشريع رجم الزاني المحصن والزانية المحصنة: (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة).

ويدخل فيه حد اللواط والسحاق أو العقوبة التعزيرية؛ لأن من أسباب قلة النسل: اكتفاء الذكور بالذكور والإناث بالإناث، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ملعون من عمل بعمل قوم لوط [رواه أحمد: 2914، وصححه الألباني في الجامع الصغير:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

10831]. رواه أحمد وهو حديث صحيح، وأمر بالعفة: وَلْيَسْتَعْفِفْ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً [النور: 33].

5/ **تحريم القذف، وتشريع حد القذف: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً)** [النور: 4]،

وفي الحديث **(اجتنبوا السبع الموبقات، -وذكر منها- قذف المحصنات الغافلات المؤمنات)** [رواه البخاري: 2766، ومسلم: 89].

6/ تشريع اللعان: **(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ الْكَاذِبِينَ)** [النور: 6-7]. الآيات.

خامساً : حفظ المال: الذي هو عصب الحياة: **(وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً)** [النساء: 5]. فماذا نجد، ماذا نجد في موضوع حفظ المال؟

1/ بيان أهمية المال لإقامة الدين والحياة : جاء في الحديث (إن الله عز وجل قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون إليه ثانٍ، ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب) [رواه أحمد: 21906، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: 1639]. هذا كان في القرآن ثم نسخ لفظه، لكن بقي موعظة. والحديث رواه أحمد، وهو صحيح.

2/ **الحث على الاكتساب: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)** [الملك: 15]، **(فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

) [الجمعة: 10]، وفي الحديث (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده) [رواه البخاري: 2072]. كما في البخاري.

قال سفيان الثوري: "لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس" يعني أمد يدي.

وقال أيضاً: "من كان في يده من هذه -يعني الدنانير والدراهم- شيء فليصلحه يستثمره، يحفظه من الضياع فإنه زمان من احتاج كان أول ما يبذل دينه". [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 381/6].

3/**الحث على صيانة المال: (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ)** [النساء: 5]. فحث على صيانة المال؛ لأن إيتاء السفهاء المال يضيعها، فنهى عن تضييع المال، نهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال [رواه البخاري: 6473، ومسلم: 593].

وكذلك شرعت الشريعة: المحافظة على أموال الأيتام والقصر: **(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا)** [النساء: 6].

جاء الوعيد الشديد في هذا الموضوع: **(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)**[النساء: 10].

4/ **إقامة حد السرقة لحفظ المال: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [المائدة: 38].

والنبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر عن تحريم الشفاعة في الحدود، في قصة المخزومية، لحفظ المال، جعل الشفاعة في الحدود من الكبائر، إذا بلغ الحد الإمام

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

ما في مجال للشفاعة، ولما جاء أسامة قال: أتشفع في حد من حدود الله؟ [رواه البخاري: 3475، ومسلم: 1688].

خلاص بلغ الحد الإمام، ويجب الآن إقامة الحد للمحافظة على الأموال، مع أن المخزومية كانت تستعير الشيء وتجحده، فجحد العارية عليه قطع هذا لحفظ المال.

إنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد [رواه البخاري: 3475، ومسلم: 1688].

ويدخل فيه حد الحرابة : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ) [المائدة: 33].

فإذا قتلوا يقتلوا، وإذا أخذوا المال يقطعوا، وإذا روعوا وأخافوا ينفوا من الأرض، وبحسب يعني قوة الجرم تكون قوة العقوبة.

يقول البابرتي الحنفي في لطيفة له: "اعلم أن قطع الطريق يسمى سرقة كبرى" [حاشية ابن عابدين: 116/4]، أما تسميتها سرقة، فلأن قاطع الطريق يأخذ المال سراً ممن إليه حفظ المال ولكم من الذي عليه حفظ الطريق؟ إنه السلطان.

6/ النهي عن الإسراف وتضييع المال: (وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) [الإسراء: 26-27].

وهنالك إحصاءات كثيرة اليوم، لو نرى كيف يضيع المجتمع الأموال في السفاسف، في الترهات، فيما يسمى بالكماليات تضيع أموال ضخمة جداً بالمليارات سنوياً في

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

بلد واحد، عمليات تجميل بدون حاجة إلأيها، زيادة في الإنفاق، إسراف في السياحات بدرجة رهيبة.

مواد التجميل كم أسرفوا فيها، كم يضيع من الأطعمة في الولائم؟ وكم، وكم يهدر من النعم؟

هذه كلها مخالفة لحفظ الضرورات الخمس، ولما جعل الشرع الدفاع عن المال: إن جاء رجل يريد أخذ مالي يا رسول الله؟ قال: لا تعطه مالك قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد قال: أرأيت إن قتلته؟قال: هو في النار [رواه مسلم:140].

7/ أحكام اللقطة شرعت من أجل المحافظة على المال: من آوى ضالة فهو ضال ما لم يعرفها [رواه مسلم: 1725]. رواه مسلم، اعرف وكاءها أو قال وعاءها وعفاصها ثم عرفها سنة [رواه البخاري: 91، ومسلم: 1722]، وضالة الإبل قال: مالك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وترعى الشجر، فذرها حتى يلقاها ربها [رواه البخاري: 91، ومسلم: 1722]. يعني: صاحبها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل السابع

معرفة مقاصد سور القرآن كاملة

المبحث الأول : بيان أهمية معرفة مقاصد السور .

المبحث الثاني : الوسائل التي بها يعرف مقاصد السورة .

المبحث الثالث : سرد مقاصد سور القرآن الكريم .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

بيان أهمية معرفة مقاصد السور

لا شك أنك أيها القارئ الكريم قد تيقنت من خلال الفصول السابقة أن العلم بمقاصد القرآن الكلية من الأهمية بمكان ، وهذا سيولّد عندك - ولا بد - التطلع إلى العلم بمقاصد القرآن التفصيلية ، وإنما يحصل ذلك بالعلم بمقاصد السور لهذا أفردت هذا الفصل للإشارة إلى مقصد كل سورة ولكن بصورة مجملة لأن تفصيل ذلك يعني تفسير السورة بتمامها وليس هذا من مقصودنا في الكتاب .

وقبل سرد مقاصد كل سورة على حدتها أنق لك هنا كلام بعض العلماء في بيان أهمية العلم بمقاصد السورة قبل قراءة تفسيرها لما في ذلك من تيسير الفهم وجودة العلم بها أهمية علم مقاصد السور ومنزلته ، يتبين ذلك بأمور[75] :

أولاً : أن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو التدبر والهداية ، كما قال تعالى (**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**) [ص : 29] فالله تعالى أمرنا بالتدبر ، لمعرفة مراده تعالى من كلامه والعمل به ، وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده ومراد الله تعالى فيه ، وما تهدي إليه سوره وآياته من الهدايات والدلالات التي بها يتحقق الفهم والعمل ، ومن هنا تتبين أهمية علم المقاصد ، إذ أنه يركز على تحقيق مراد الله تعالى في كلامه ، بالنظر إلى مجمل السورة وبيان مجمع معانيها .

75/ مقال بعنوان (أهمية علم مقاصد السور ومنزلته في التفسير) – للأستاذ محمد الربيعة – موقع ملتقى أهل التفسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

قال الشاطبي : " فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة ، وإنما التفقه في المعبّر عنه والمراد به ، كما يعلم من أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات ، فلا محيص للمتفهم عن التعلق بأول الكلام وآخره ليحصل له المقصود منه ، فإن فرّق النظر لم يتوصل إلى المراد" [76]

ثانياً: أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه ، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى ، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها .

وقد قرر ذلك الشاطبي فقال : " اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"[77] .

ثالثاً : أن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله على غير مراده .[78] .

رابعاً : أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله مؤتلفاً منتظماً على نحو كمال نظمه ومعناه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص وكالعقد المتناسق.

76/ الموافقات- (409/3).

77/ الموافقات - (415/3).

78/ دلائل النظام - (ص75) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال البقاعي في بيان أثره في السورة : " تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية ، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية ، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر ، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر ، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها ، وشعبة ملتحمة بما بعدها ، وآخر السورة قد واصل أولها ، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها ، وعانق ابتداؤها ما قبلها ، فصارت كل سورة دائرة كبرى ، مشتملة على دوائر الآيات الغرّ ، البديعة النظم ، العجيبة الضم ، بلين تعاطف أفنانها ، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها " .[79]

ويقول محمد دارز في كتابه النبأ العظيم مؤكداً ذلك ومجليه : " لماذا نقول إن المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان ؟ لا . بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان ، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما ، كما يلتقي العظمان عند المفصل ، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب ، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب ، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً ، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد ، مع اختلاف وظائفه العضوية " [80] .

79/ مصاعد النظرت للبقاعي – ص(149)

80/ النبأ العظيم – محمد دراز (155) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خامساً : بمعرفة مقصد السورة تنتظم آيات السورة وتظهر المناسبات بين آياتها فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد . قال البقاعي : " ومن حقق المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها.."[81] .

وقال : " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات .. وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له "[82].

سادساً : أن هذا الاتجاه في التفسير هو من تفسير القرآن بالقرآن ، فهو تفسير القرآن بالنظر والتأمل والتدقيق فيما توحي إليه السورة من تحقيق مراد الله تعالى في كلامه ، بالنظر في افتتاح السورة واختتامها ، وسابقها ولاحقها ، وموضوعاتها ، وألفاظها .

سابعاً : إن علم مقاصد القرآن علم يبرز إعجاز القرآن وبلاغته وكماله ، فإن من إعجازه وبلاغته نظام السور في وحدة بنائها وترابطها ، ولذلك تحدى العرب بسوره .

قال سعيد حوى في تفسيره الأساس : " قد استطعت بحمد الله أن أبرهن على أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي

81/ مصاعد النظر - (ص149) .

82/ نظم الدرر - للبقاعي (17/1) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تجمع ما بين سوره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلا ،ولا تخطر على قلب بشر" [83]

ثامناً : أن هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان ، وزيادة نور القلب، وقرار العين بما يتضح من روائع هذا العلم العظيم ، ويحصل معه من اللذة والمتعة والسرور ما لا يحصل في غيره ، ذلك أنه علم يبحث في الحكم والمقاصد الدقيقة التي تمثل روح القرآن وأسراره العظيمة .

83/ الأساس في التفسير – سعيد حوى .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

الوسائل التي بها يعرف موضوع السورة

الوسيلة الأولى : أن ينص العلماء أو طائفة من العلماء المحققين على أن هذه السورة في الموضوع الفلاني ، مثلًا :

سورة الإخلاص : في توحيد الأسماء والصفات ، أو في التوحيد العلمي الخبري .

سورة الكافرون : في التوحيد الطلبي , توحيد العبادة .

سورة الفاتحة : في بيان محامد الرب – جل وعلا – .

والوسيلة الثانية : هي أن يكون موضوع السورة ظاهرًا من أولها ، فالمفسر يقرأ فيظهر له أن كل السورة مبني على أولها ، مثلًا سورة القيامة ، ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ ([12]) ، كل ما فيها ذكر لأحوال القيامة ثم أحوال الموت ، أو وسائل الإيمان بيوم القيامة ، هنا بحث في سورة القيامة ، بحث عند من اعترض على موضوع السورة في قول الله – جل وعلا – : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ([13]) ، قال طائفة من العلماء : إن هذه الآيات لا صلة لها بموضوع القيامة ، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ([14]) ، ما صلتها بموضوع القيامة ؟ وما صلتها بموضوع الموت والعاقبة ؟ ... إلى آخره . ذكر الآخرون مناسبة ذلك وبينوا ما هو ظاهر بَيِّن .

كذلك في سورة الواقعة ، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

([15])، سورة الواقعة صار موضعها حول تقسيم الناس يوم القيامة ينقسمون إلى أقسام ثلاثة : السابق ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، ثم بعد ذلك أدلة تتعلق بهذا الأصل ، ثم حال الناس عند النزع ، وأين تذهب أرواحهم ، فتلحظ من السورة أن الموضوع بيّن من أولها إلى آخرها ، وهذا يتضح لك من أول السورة .

الوسيلة الثالثة : الاستقراء ، فالاستقراء للآي من عالم بالتفسير ، إما أن يكون استقراءً كاملًا ، أو استقراءً أغلبيًّا ، وقد ذكر علماء الأصول أن الاستقراء الذي يحتج به على قسمين :

الاستقراء الكامل ، أو الاستقراء الأغلبي لأنه حتى القواعد ما من قاعدة إلا ولها شواذ ، فالاستقراء الأغلبي حجة كالاستقراء الكلي في الاحتجاج ، ولكن في القوة فإن الاستقراء الكلي أعظم من الاستقراء الأغلبي ، فإذا استقرأ الآيات واستخرج المفسر موضوعًا ولو لم يسبق إلى ذلك ، فإن هذه وسيلة ظاهرة من وسائل إدراك المعنى ، لا سيما إذا كان مُصِيبًا فيه غيرَ متكلف في ذلك . وهناك وسائل أخرى

من المؤلفات في مقاصد السور قديما وحديثا[84] :

لم يفرد الأئمة المتقدمون هذا العلم بتصنيف مستقل، وإنما ضمَّنوه مصنفاتهم في التفسير وعلوم القرآن، واعتنى بذلك المتأخرون، وذلك شأن جميع العلوم التي تنشأ مختلطة بغيرها، ثم يأتي المتأخرون فيمعنون النظر، ويزيلون الالتباس، ويفكون الاشتباك بين أنواع تلك العلوم. وهذا العلم يعتبر تطوراً طبيعياً لعلم نشأ قبله وهو علم: التناسب بين آيات وسور القرآن.

84/ موقع الدكتور عبد الرحمن الشهري - بتصرف

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والملاحظ في هذا الصدد، أن بعض المفسرين اكتفى بالإشارة إلى مقاصد السور القرآنية دون التنصيص على ذلك، مثل: الإمام الطبري وابن كثير. وبعضهم صرَّح بمقصد السورة دون أن يكون له منهج محدد في هذا الشأن، كالرازي، وابن تيمية، وابن القيم، كما أن الإمام الزركشي كتب أبواباً في كتابه "البرهان" متعلقة بمقاصد السور والتناسب بينها، تعتبر على قصرها كالتأصيل لهذا العلم.

وهناك من المفسرين من كانت له عناية بذكر مقاصد السور، واتخذ لذلك منهجاً في تفسيره:

1/ الفيروزآبادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز"

2/ والبقاعي في كتابيه: "مصاعدالنظر للإشراف على مقاصد السور" و"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"،

وفي هذا الكتاب الأخير التزم البقاعي أن يذكر مقصد السورة ووجه المناسبة بينها وبين ما قبلها وما بعدها من السور. واعتنى الإمام السيوطي في كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن" بذكر وجوه إعجاز العلم بالمقاصد وتناسب الآيات والسور.

ومن المعاصرين :

1/ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن - للدكتور عبدالله شحاته رحمه الله، نشر الهيئة المصريه العامة للكتاب.

2/ مقاصد القرآن الكريم وسوره وآياته – للشيخ عبد الله التليدي

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تنبيه : وجوب التفريق بين مضمون السورة ومقصدها : السابق

المضمون هو مجرد تعداد للموضوعات التي وردت في السورة، وهذا ما صنعه الفيروز أبادي في بصائره وغيره من المفسرين، في حين إن مقصد السورة هو الغرض والغاية التي يراد إيصالها للقارئ من السورة. والعلاقة وثيقة بين الأمرين، فلن تصل للغرض والغاية إلا بمعرفة موضوعات السورة إلا أن بينهما فرقاً يجب التنبه له، والعناية به .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

المبحث الثالث

سرد مقاصد سور القرآن الكريم

من أجمل الأعمال العظيمة التي لا تحتاج إلى تفريط احفظوها في المحوظات فمقاصد القران شيء عظيم ..كما قال إمام المقاصد الشاطبي رحمه الله :إنما يكون التدبر لمن نظر في المقاصد [85].

١- **سورة الفاتحة:** تحقيق كمال التوجه لله تعالى بالعبودية له

٢- **سورة البقرة:** إعداد الأمة لعمارة الأرض، والقيام بدين الله تعالى، وبيان أقسام الناس .

٣- **سورة آل عمران:** بيان علاقة المسلمين بالجهات الخارجية في ضوء أصول الاعتقاد

٤- **سورة النساء:** تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، إزالةً لرواسب الجاهلية وانحرافات أهل الكتاب

٥- **سورة المائدة:** بيان أصول الاعتقاد والحكم والمعاملات

٦- **سورة الأنعام:** تنظيم علاقة الإنسان مع الكون وخالقه على أصول سليمة

٧- **سورة الأعراف:** تركّز على سنّة الصراع بين الإيمان والكفر وعاقبته

85/ [مقاصد سور القرآن الكريم -علي الألمعي - مستخرجة من كتاب (المختصر في التفسير) الصادر من مركز تفسير للدراسات القرآنية

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٨- **سورة الأنفال:** تركّز على بيان عوامل النصر والهزيمة .

٩- **التوبة:** تركّز على قضية المفاصلة مع المشركين والمنافقين .

١٠- **سورة يونس:** بيان حقيقة الوحي وقضيّته الكبرى الألوهية .

١١- **سورة هود:** بيان منهج الرسل في مواجهة قومهم المكذبين .

١٢- **سورة يوسف:** تركّز على الوعد بالتمكين بعد الابتلاء المبين من خلال عرض قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام .

١٣- **سورة الرعد:** بيان حقيقة القوة والقدرة الإلهية ومظاهرها .

١٤- **سورة إبراهيم:** بيان أحوال الرسل والأنبياء وبيان وظيفتهم في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبيان أحوال الكافرين ومكرهم في محاربة الحق، وبيان عاقبة كل فريق في الدنيا والآخرة .

١٥- **سورة الحِجر:** تركّز على إنذار المكذبين بالعقاب .

١٦- **سورة النحل:** تركّز على التذكير بالنعم الدالة على المنعم .

١٧- **سورة الإسراء:** التركيز على كمال الرسالة المحمدية .

١٨- **سورة الكهف:** التركيز على منهج التعامل مع الفتن وتمييز القيم الصحيحة فيها

١٩- **سورة مريم:** بيان كمال رحمة الله بالخلق وحاجة عباده إليه الدال على تنزّهه واستغنائه عن الولد والمعين .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢٠ - **سورة طٰه:** تقوية النبي ﷺ لحمل الرسالة والصبر عليها

٢١- **سورة الأنبياء:** التركيز على قضية وحدة الرسالات من خلال التذكير حال الرسل ودعوتهم الواحدة لعبادة الله وحده

٢٢- **سورة الحج:** بيان قضية التعظيم والاستسلام لله من خلال عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية

٢٣- **سورة المؤمنون:** قضية الإيمان من خلال الحث عليه والإشادة بالمؤمنين وصفاتهم وجزائهم، وذم الكافرين وموقفهم من الإيمان وأهله وعاقبتهم

٢٤- **سورة النور:** التركيز على قضية العفاف والستر وصفاء المجتمع المسلم

٢٥- **سورة الفرقان:** التركيز على قضية الانتصار للرسول ﷺ بعد تطاول المشركين عليه .

٢٦- **سورة الشعراء:** التركيز على مواجهة المصرّين على التكذيب بالرسول الطاعنين برسالته .

٢٧- **سورة النمل:** تركّز على الامتنان على النبي ﷺ بالمعجزة القرآنية

٢٨- **سورة القصص:** التركيز على الموازين الحقيقية للقوى والقيم

٢٩- **سورة العنكبوت:** تركّز على قضية الثبات والصبر حال الابتلاء والفتن وعاقبته

٣٠- **سورة الروم:** تركّز على بيان الحقيقة الكونية في تصريف الأمور والأحوال والأحداث وهي أنّه { لله الأمر من قبل ومن بعد }

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٣١- سورة **لقمان**: تركّز على الأمر باتباع حكمة الله

٣٢- سورة **السجدة**: تركّز على بيان دلائل ومشاهد الحق التي نزل بها القرآن

٣٣- سورة **الأحزاب**: تركّز على عناية الله بنبيه ﷺ وحماية جنابه

٣٤- سورة **سبأ**: بيان مظاهر القدرة الإلهية على تبديل الأحوال

٣٥- سورة **فاطر**: تركّز على عرض مشاهد القدرة والإبداع في الخلق

٣٦- سورة **يٰسٓ**: تأكيد أمر الرسالة والبعث وإقامة الحجة على المكذبين

٣٧- سورة **الصافات**: تركّز على تنزيه الله عمّا نسبه إليه المشركون

٣٨- سورة **صٓ**: تركّز على قضية المخاصمة بالباطل وعاقبتها

٣٩- سورة **الزمر**: تركّز على الدعوة للتوحيد

٤٠- سورة **غافر**: التركيز على قضية معالجة المجادلين في آيات الله

٤١- سورة **فصّلت**: بيان كيفية معالجة المعرضين عن القرآن برفق

٤٢- سورة **الشورى**: بيان حقيقة الوحي والرسالة المحمدية

٤٣- سورة **الزخرف**: بيان القيم الصحيحة والزائفة

٤٤- سورة **الدخان**: التركيز على الإنذار بالعذاب المرتقب

٤٥- سورة **الجاثية**: تركّز على معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن الحق

٤٦- سورة **الأحقاف**: تركّز على إقامة الحجة على المكذبين وإنذارهم بالعذاب

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤٧- **سورة محمد:** تركّز على قضية تحريض المؤمنين على القتال وتأييدهم

٤٨- **سورة الفتح:** تركّز على الوعد الإلٰهي بالفتح والتمكين لنبيه وللمؤمنين الصادقين في نصرة الدين .

٤٩- **سورة الحجرات:** تركّز على الرّقي بالمجتمع المسلم لكمالات الإيمان والأخلاق ز

٥٠- **سورة قٓ:** التركيز على إيقاظ القلوب وهزّها لإدراك حقائق البعث والجزاء .

٥١- **سورة الذاريات:**التركيز على تعريف المخلوقين بمصدر رزقهم وهو الله تعالى .

٥٢- **سورة الطور:**التركيز على دحض شبهات المكذبين من خلال تهديدهم بالعذاب وعرض الحجج والبراهين .

٥٣- **سورة النجم:** تركّز على قضية صدق الوحي وعلوّ مصدره .

٥٤- **سورة القمر:** تركّز على التذكير بالآيات والنذر.

٥٥- **سورة الرحمٰن:** تركّز على الإعلام بآلاء الله الباهرة وآثار رحمته الظاهرة في الدنيا والآخرة .

٥٦- **سورة الواقعة:** تركّز على إثبات أنّ الواقعة حق اليقين .

٥٧- **سورة الحديد:** تركّز على بناء القوة الإيمانية والمادية الباعثة على الدعوة والجهاد.

٥٨- **سورة المجادلة:** تركّز على إظهار علم الله الشامل وإحاطته البالغة .

٥٩- **سورة الحشر:** تركّز على إظهار قوة الله وعزته في توهين الكافرين والمنافقين

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٦٠- **سورة الممتحنة:** تركّز على تخليص قلوب المؤمنين من الانتماء والولاء لغير دين الله تعالى .

٦١- **سورة الصف:** تركّز على تحفيز المؤمنين لنصرة دين الله الحق وعدم التخاذل عنه

٦٢- **سورة الجمعة:** تركّز على بيان منّة الله على هذه الأمة في تفضيلها وهدايتها بالرسول بعد ضلالها .

٦٣- **سورة المنافقون:** تركّز على كشف المنافقين وصفاتهم وبيان موقفهم من الإسلام وأهله .

٦٤- **سورة التغابن:** تركّز على قضية التغابن والمغبونين .

٦٥- **سورة الطلاق:** تركّز على تعظيم أمر الطلاق وحدوده .

٦٦- **سورة التحريم:** تركّز على تربية البيت النبوي .

٦٧- **سورة الملك:** تركّز على إظهار كمال ملك الله وقدرته .

٦٨- **سورة القلم:** تركّز على قضية الأخلاق بين أهل الإسلام وأهل الكفر.

٦٩- **سورة الحاقة:** تركّز على حتمية وقوع القيامة تأكيدًا لصدق القرآن .

٧٠- **سورة المعارج:** تركّز على تأكيد وقوع العذاب على الكافرين والنعيم للمصدقين بيوم الدين .

٧١- **سورة نوح:** تركّز على صبر الدعاة وجهادهم في الدعوة .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٧٢- **سورة الجن:** تركّز على تصديق نزول القرآن على النبي ﷺ وأنه من عند الله

٧٣- **سورة المزمل:** تركّز على الزاد الروحي للدعاة في مواجهة الشدائد ومصاعب الحياة

٧٤- **سورة المدثر:** تركّز على الأمر بالنهوض بالدعوة ومقوماتها

٧٥- **سورة القيامة :** تركّز على إظهار قدرة الله وإرادته البالغة في جميع خلقه وآياته

٧٦- **سورة الإنسان:** تركّز على تذكير الإنسان بأصله وحكمة خلقه ومصيره في الدارين

٧٧- **سورة المرسلات:** تركّز على إثبات القيامة من خلال محاجة المكذبين بالأدلة

٧٨- **سورة النبإ:** تركّز على إثبات البعث والجزاء بالأدلة والبراهين

٧٩- **سورة النازعات:** تركّز على هزّ القلوب المكذبة بالبعث والجزاء من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة .

٨٠- **سورة عبَس:** الترميز على حقيقة دعوة القرآن وكرامتها وعلو مقامها

٨١- **سورة التكوير:** تركّز على تصوير القيامة بانفراط الكون بعد إحكامه

٨٢- **سورة الانفطار:** تركّز على تصوير القيامة بتبعثر المخلوقات المنتظمة وتغيّر حالها ومسارها .

٨٣- **سورة المطففين:** تركّز على بيان حال الناس في الموازين والمنازل الأخروية

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٨٤- **سورة الانشقاق:** تركّز على تصوير القيامة باستسلام الكون وخضوعه لربه في أمره .

٨٥- **سورة البروج:** تركّز على إظهار قوة الله وإحاطته الشاملة وتوعده للمتربصين بالمؤمنين بالعذاب الشديد .

٨٦- **سورة الطارق:** تركّز على إظهار رقابة الله النافذة وقدرته البالغة

٨٧- **سورة الأعلى:** تركّز على تذكير النفوس بمنّة الله الأعلى وتعليقها بالحياة الأخرى، وتخليصها من التعلقات بالدنيا .

٨٨- **سورة الغاشية:** تركّز على تذكير النفوس بمشاهدة القدرة الإلهية في العذاب والنعيم .

٨٩- **سورة الفجر:** تركّز على عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية في الكون وأحوال الإنسان .

٩٠- **سورة البلد :** تركّز على الإنسان بين كبد الكفر والعذاب والصعود لسلم الرحمة والإيمان في الدارين .

٩١- **سورة الشمس:** تركّز على إظهار آيات الله وآلائه في الآفاق والأنفس وأحوالها

٩٢- **سورة الليل:** تركّز على بيان الاختلاف بين الآيات والأنفس وأعمالها

٩٣- **سورة الضحى:** تركّز على رعاية الله لنبيه والامتنان عليه بنعمة الوحي ودوامها له .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

٩٤- **سورة الشرح:** تركّز على إتمام منّة الله على نبيه بزوال الغم والحرج والعسر عنه، وما يوجب ذلك .

٩٥- **سورة التين:** تركّز على قيمة الإنسان وشرفه بدينه، وسفوله وهوانه بدونه .

٩٦- **سورة العلق:** تركّز على بيان كمال الإنسان بالعلم والوحي الباعث على تعلق العبد بربه وخضوعه له، ونقصه بمخالفة ذلك .

٩٧- **سورة القدر:** تركّز على بيان عظم ليلة القدر وما أُنزل فيها .

٩٨- **سورة البينة:** تركّز على قيمة الرسالة المحمدية .

٩٩- **سورة الزلزلة:** تركّز على هزّ القلوب الغافلة لليقين بالحساب والإحصاء الدقيق .

١٠٠- **سورة العاديات:** تركّز على بيان حقيقة الإنسان بلا إيمان .

١٠١- **سورة القارعة:** تركّز على قرع القلوب لاستحضار هول القيامة .

١٠٢- **سورة التكاثر:** تركّز على تذكير المنشغلين بالدنيا بالموت والحساب .

١٠٣- **سورة العصر:** تركّز على بيان حقيقة الربح والخسارة في الحياة، والتنبيه على قيمة العصر الذي يعيشه الإنسان .

١٠٤- **سورة الهمزة:** تركّز على وعيد المتعالين الساخرين .

١٠٥- **سورة الفيل:** تركّز على حماية الله لبيته الحرام، امتنانًا وحجة على المخاطبين .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

١٠٦- **سورة قريش:** تركّز على الامتنان على قريش بائتلافهم وعلو شأنهم .

١٠٧- **سورة الماعون:** تركّز على بيان أخلاق المكذبين بالدين والآخرة .

١٠٨- **سورة الكوثر:** تركّز على الامتنان على النبي ﷺ بالعطاء والخير الكثير الذي خُصّ به .

١٠٩- **سورة الكافرون:** تركّز على تقرير توحيد العبادة والبراءة من الشرك .

١١٠- **سورة النصر:** تركّز على بيان عاقبة الإسلام بالنصر والفتح، وما يُشرع عند حصول ذلك .

١١١- **سورة المسد:** تركّز على توعّد المعادين للدعوة بالهوان والعذاب في الدنيا والآخرة.

١١٢- **سورة الإخلاص:** تركّز على إثبات تفرّد الله بالكمال وتنزّهه عن النقص .

١١٣- **سورة الفلق:** تركّز على التحصّن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة .

١١٤- **سورة الناس:** تركّز على الاعتصام والتحصّن بالله من شر الشيطان ووسوسته، ومن الشرور الخفية .

- **جزى الله خيرا من حفظها وفهمها ونشرها**

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الخاتمة

إنني من خلال هذا الكتاب توصلت إلى أن المؤلفات التي كُتبت في مقاصد القرآن بداية هي قليلة – أو معدومة – لدى السابقين وإنما هناك كلام عن هذا العلم في ثنايا كتبهم ، وليس هناك كتب مستقلة،ثم هي – المؤلفات - قليلة جدا لدى المعاصرين ومع قلتها قد اختلط الكلام فيها في الغالب مع مباحث مقاصد الشريعة .

وقد وجدت من وافقني على هذه النتيجة ولكن بينها بصورة أوسع، أعني الأستاذ : عبد الرحمن حللي حيث يقول :

إن معظم الدراسات في "مقاصد القرآن" انساقت مع موجة دراسات "مقاصد الشريعة" ولم تضف إليها ولا إلى علم التفسير قيمة معرفية نوعية، وذلك لما في هذه الدراسات من مشكلات منهجية، فموضوعات القرآن شيء ومقاصده شيء آخر، أياً كانت التسمية.

وثمة فرق بين مقاصد الأحكام في القرآن وغيره، والتي عبر عنها بمقاصد الشريعة، وبين "مقاصد القرآن" بمعنى الغايات التي أنزل من أجلها، ودَرْس أي من المعنيين (الموضوعات أو الغايات) لا يمكن أن يتأسس على استعمال المتقدمين لتعبير "مقاصد القرآن"، فمن تناوله منهم كموضوعات كان مدفوعاً إليه بروايات في فضائل السور، ومن توسع فيها من المتأخرين كان مشغولاً بهموم شمول الشريعة، وكلا الدافعين لا يصلحان لضبط علمي موضوعي.

أما "مقاصد القرآن" بمعنى الغايات من إنزاله فلا يمكن الاكتفاء في بيانها باستعارة مقاصد الشريعة أو المعاني العامة، إنما يتأسس ذلك من خلال دراسة استقرائية

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

منضبطة لحكاية القرآن عن القرآن والتنزيل (مفهوماً وموضوعاً)، مع وضع هدف واضح وعملي هو استكشاف الوظيفة التأويلية التي يحققها الكشف عن "مقاصد القرآن"، ولعل وصف الهداية هو المفهوم المفتاحي الأهم لدراسة "مقاصد القرآن"، إذ هذا الوصف من شأنه أن يضبط منهجية التعامل مع القرآن كنص أنزل من أجل غاية كلية محددة، فتُفهم موضوعاته في ضوئها، ولضبط هذا المقصد الكلي أثره في التأويل وفهم كثير من القضايا المشكلة التي كانت مثار جدل في التفسير، فمعرفة مقصد المخاطِب تؤثر في فهم نص الخطاب، كما تمكن من فهم أسلوبه في سياق تنزله، ففهم النص القرآني بطريقة معجمية أو قانونية مجردة، أو اتخاذه مصدراً لعلوم لم يتنزل لبيانها، يعد نوعاً من التحريف في فهمه بقدر ما يبتعد المعنى عن مقصد تنزله، وهذه الوظيفة العلمية والعملية هي التي يمكن أن يضيفها البحث عن مقاصد القرآن، والتي لم أجد أياً من الدراسات التي تناولت مقاصد القرآن اهتمت ببيانها[86].

86/ مجتزأ من مقال بعنوان (مقاربات مقاصد القرآن الكريم - دراسة تاريخية) – للأستاذ : عبد الرحمن حللي - موقع الملتقى الفكري للإبداع .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أهم المراجع

1/ جواهر القرآن ودرره – للغزالي .

2/ إحياء علوم الدين – للغزالي .

3/ مفتاح دار السعادة – لابن القيم .

4/ مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين - لابن القيم .

5/ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- لابن القيم .

6/ موقع منارة الإسلام .

7/ الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد

8/ جدلية العلاقة بين مقاصد القرآن وتفسيره - مشاركة للشيخ د/ عبد الرحمن معاضة الشهري - موقع أهل التفسير .

9/ موقع أهل التفسير

10/ مقال بعنوان (حقيقة الصراط المستقيم في القرآن والسنة) – موقع الأترجة الإسلامي .

11/ مقاربات مقاصد القرآن الكريم: دراسة تاريخية - عبد الرحمن حللي - موقع الملتقى الفكري للإبداع .

12/ مقال بعنوان (القصص القرآني) للأستاذ علي الطاهر عبد السلام – موقع تفسير للدراسات اقرآنية

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

من مقال بعنوان (تزكية النفس) للأستاذ سيد محمد بن جدو – موقع صيد الفوائد

13/ بحث بعنوان الرد على منكري البعث والنشور - سعد الإدرسي – ملتقى أهل الحديث

14/ مقاصد القصص القرآني - بقلم: الدكتور رشيد كهوس- موقع مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، جمادى الآخرة 1437 هـ = مارس – أبريل 2016م ، العدد : 6 ، السنة : 40

15/ مقالات من موقع طريق الإسلام .

16/ موقع الدكتور عبد الرحمن الشهري .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفهارس

م	الموضوع	ص
1	المقدمة	5
2	التمهيد :بيان مفهوم مقاصد القرآن وأهمية معرفته لمفسري القرآن الكريم وغيرهم	12
3	المحور الأول : مفهوم مقاصد القرآن لغة واصطلاحاً .	13
4	المحور الثاني : أهمية معرفة مقاصد القرآن الكريم للمفسرين وغيرهم	16
5	المحور الثالث : لمحة عن كتابات العلماء في علم مقاصد القرآن الكريم	21
6	الفصل الأول : بيان المقصد الأول وهو التعريف بالمدعو إليه .	27
7	تمهيد : ذكر كلام الغزالي مجملا	28
8	المبحث الأول : من المقاصد الكلية للقرآن معرفة ذات الحق .	30
9	المبحث الثاني : من المقاصد الكلية للقرآن معرفة صفات الحق .	51
10	المبحث الثالث : من المقاصد الكلية للقرآن معرفة أفعال الحق .	61
11	الفصل الثاني :في بيان المقصد الثاني من مقاصد القرآن معرفة طريق السلوك إلى الله تعالى .	67
12	تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا .	68
13	المبحث الأول : بيان حقيقة الصراط المستقيم .	70
14	المبحث الثاني : بيان تزكية النفس بالسير على الصراط المستقيم .	76
15	المبحث الثالث : بيان العوائق التي تمنع السير على الصراط المستقيم .	89
16	الفصل الثالث : بيان المقصد الثالث وهو تعريف الحال عند ميعاد الوِصَال .	97
17	تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا .	98
18	المبحث الأول : بيان الجزاء الأخروي لأهل الإيمان والعمل الصلاح .	99
19	المبحث الثاني : بيان الجزاء الأخروي لأهل الكفر والجحود والعصيان .	106

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

20	**الفصل الرابع :المقصد الرابع وهو بيان قصص القرآن .**	113
21	تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملا	114
22	المبحث الأول : بيان قصص الصالحين (الأنبياء والأولياء) .	115
23	المبحث الثاني : بيان قصص الكافرين والمنكرين .	121
24	**الفصل الخامس :المقصد الخامس في إقامة الحجة على الكفار .**	127
25	تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملاً	128
26	المبحث الأول : إقامة الحجة على مَنْ أشرك بالله تعالى ونسب له الولد.	129
27	المبحث الثاني :إقامة الحجة على مَنْ أنكر النبوة وألصق التهم بالرسول صلى الله عليه وسلم .	137
28	المحور الأول : اتهام المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم ورد الله تعالى عليهم .	143
29	المحور الثاني :إنكار المشركين أن يرسل الله رسولاً من البشر ورد الله .	143
30	المبحث الثالث : إقامة الحجة على مَنْ أنكر اليوم الآخر أو بعض ما يتعلق به .	146
31	المحور الأول : عظمة الإيمان باليوم الآخر.	146
32	المحور الثاني : أصناف المكذبين بالبعث والنشور ومصيرهم .	149
33	المحور الثالث : الأسباب التي دعت الكافرين لإنكار البعث .	152
34	المحور الرابع : الأدلة على حتمية وقوع على البعث والنشور .	155
35	**الفصل السادس : مقاصد الشريعة .**	165
36	تمهيد : ذكر كلام حجة الإسلام الغزالي مجملاً .	166
37	المبحث الأول : مفهوم مقاصد الشريعة وطرق إثباتها شرعا وعقلا .	168
38	المطلب الأول : مفهوم مقاصد الشريعة .	169
39	المطلب الثاني : طرق إثبات مقاصد الشريعة شرعاً وعقلاً .	172
40	المحور الأول : إثبات المقاصد بالأدلة الشرعية .	172

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

41	المحور الثاني : إثبات المقاصد بالأدلة العقلية .	176
42	المبحث الثاني : مقاصد الشريعة عند الغزالي .	178
43	المبحث الثالث : مقاصد الشريعة وكيفية حفظها لدين الناس ودنياهم من الكتاب والسنة .	183
44	المحور الأول : أنواع المقاصد الشرعية	184
45	المحور الثاني : أقسام المقاصد الضرورية، وكيفية حفظها .	185
46	**الفصل السابع : معرفة مقاصد سور القرآن كاملة .**	199
47	المبحث الأول : بيان أهمية معرفة مقاصد السور .	100
48	المبحث الثاني : الوسائل التي بها يعرف مقاصد السورة .	205
49	المبحث الثالث : سرد مقاصد سور القرآن الكريم كاملة .	209
50	الخاتمة	219
51	أهم المراجع	221
52	فهارس الكتاب	223

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية